

خصيان الامبراطور بحقه جرما كبيرا حين ضربة بالسوط على وجهه ، ولهذا غضب يوحنا غضبا شديدا ، وشعر بالمرارة لذلك ترك القصر وتخلي عن خدمة الامبراطور ، غضبا لنفسه للاهانة التي لحقته ، وعاد الى الاشيا وهي بلاد حصينة تحيط بها الجبال من كل جانب الى حد أنه لا يستطيع أحد الدخول اليها أو الخروج منها الا عبر ممر ضيق .

١١٧- وعندما حل يوحنا في بلاد الاشيا سعى الى ضم كبار رجالاتها اليه ، وسلك مسلك الزعيم القوي فكان يتألف الناس ويمنحهم الأعطيات ، لذلك سرعان مادانت له تلك البلاد وخضع له سكانها واعترفوا به سيذا عليهم ، فلما تحقق له ذلك ذهب الى جماعات الكومان وسواهم فتحالف معهم فانضموا الى صفوفه ودانوا له بالطاعة .

١١٨- وتقع بلاد الكومان على حدود الاشيا وسأحدثك عن هؤلاء الكومان وأروي لك أخبارهم :

الكومان شعب بدائي الحياة لايعرف الزراعة والفلاحة والحصاد ، ولايقطن أفراده في البيوت أو الأكواخ بل في خيم من اللباد ، وعماد غذائهم اللبن والجبن واللحوم ، ويكثر الذباب والبعوض في معسكراتهم أثناء الصيف كثرة ترغمهم على ملازمة خيمهم فلا يخرجون منها قبل حلول موسم البرد والشتاء ، وفي ذلك الموسم يخرجون من بلادهم للقيام بأعمال الغارة على سواهم .

١١٩- وأنا مخبرك الآن عن أعمالهم :

وامتلك كل واحد من الكومان عددا من الخيول تصل الى عشرة رؤوس أو اثني عشر رأسا ، وهم يحسنون تدريبها ، ويأخذونها معهم في حلهم وترحالهم وفي أوقات غزواتهم ، وأثناء السفر لايتوقفون عن الركض ليلا ونهارا ، ويسرعون حتى أنهم يقطعون في

يوم واحد وليلة واحدة ما يعادل مسيرة ستة أيام وأحيانا مسافة سبعة أيام أو حتى ثمانية ، ولا يحملون شيئا مما يستولون عليه أثناء زحفهم ، غير أنهم يقومون في مرحلة الاياب بحمل الغنائم وأخذ الأسرى وكل ما يجدونه أو يستولون عليه ، ولا يحملون السيوف أو الأسلحة الأخرى بل يحملون القسي والذشاب والبستهم من جلود الأغنام ، وهم لا يعبدون ربا ، بل يكتفون بتقديس أول حيوان يراه أحدهم في الصباح أو يصفده ، فيعكف على تقديسه طوال يومه أيا كان نوع هذا الحيوان .

١٢٠- هؤلاء هم الكومان الذين تحالف معهم يوحنا الوالاشي ، واعتاد أن يغير بهم كل سنة على أراضي الامبراطور ، وكان يتوغل في بعض الأحيان حتى أطراف القسطنطينية ، هذا ولم يمتلك الامبراطور القوة الكافية للتصدي له وكف أذاه .

١٢١- وبعدها استمع البارونات الى عرض يوحنا الوالاشي قالوا لرسله بأنهم سيدرسون طلبية وسيفكرون به ، وبعدها استعرضوه وتدارسوه اتخذوا قرارا خاطئا ، حيث بعثوا اليه انهم لا يكثرثون به ولاتهمهم مساعدته مطلقا ، وقد سددوا ثمن هذا الخطأ غالبا ، فانتكبوا نكبة مفاجئة وعانوا من مأساة مريعة ، وقام يوحنا - وقد أخفق في التعاون معهم - فراسل روما من أجل التتويج فبعث اليه البابا بواحد من الكرادلة توجه ملكا على والاشيا .

١٢٢- وسأحدثك الآن عن المحنة الشديدة التي تعرض لها مولاي الكونت هنري - أخي كونت فلاندرز - ففي غمرة تلك الأحداث ، وفيما الفرنجة يشدون الحصار على القسطنطينية ، وجد الكونت هنري أنه وأتباعه باتوا يعانون من الفقر الشديد وأنهم بحاجة ماسة الى المؤن وعدد كبير من الحاجيات ، وقد عرفوا بوجود مدينة اسمها فيليا ، تقع على مقدار عشرة فراسخ من المعسكر ، وكانت مدينة ذات ثراء عظيم وخصب كبير ، وخطط الكونت هنري للاغارة

عليها ، فأعد الآتة ، وخرج بالليل متسللا من المعسكر ومعه ثلاثين فارسا مع عدد كبير من الخيالة ، ولم يعلم أحد من أهل المعسكر بخبر خروجهم .

١٢٢ - ولما جاء الى هذه المدينة نجح في مهمته وأمضى فيها يوما ، ثم باهر للعودة ، وكان بعض الناس قد رآه وهو في طريقه اليها ، فرفع خبره الى مرزوفلوس ، وما كاد هذا يسمع بهذا الخبر حتى جمع قوة من حوالي ألف رجل مسلح من الخيالة ، وحمل معه أيقونة ثمينة جدا عليها صورة « سيدتنا » - والاغريق يدعونها بهذا الاسم أيضا - وقد اعتاد الأباطرة على حملها أثناء خروجهم للقتال ، وكانوا يؤمنون بقدرات هذه الأيقونة ايمانا عظيما ويعتقدون بكل يقين أن حاملها لا يمكن أن يهزم في القتال أبدا ، ونحن أيضا نؤمن بذلك ، ولكن لأن مرزوفلوس لم يكن له الحق في حملها فقد هزم وخسرهما .

وكان الفرنجة قد عجلوا بإرسال الفنائم أمامهم الى المعسكر ، وساروا خلفها ، هذا من جانب ومن جانب آخر نصب مرزوفلوس لهم كمينا على طريق عودتهم ، ووضع على مسافة فرسخ من رجالنا حيث أخفى رجاله وخبأهم فلم يعرف عنهم رجالنا شيئا ، وعندما كانوا عائدون لا يدرون ما هو مبيت لهم خرج عليهم الكمين وأخذ الاغريق يصرخون عليهم لدى مشاهدتهم لهم ، وفوجيء رجالنا ونظروا حولهم فرأوا قوة الاغريق ففزعوا فزعا شديدا ، وأخذوا يدعون للرب ولسيدتنا بحرارة ، وتولتهم الحيرة ، وأدهشهم الخوف فما عادوا يدرون ما يفعلون ، وأخيرا قال بعضهم لبعض: نحن إن فررنا لا شك هالكون ، وطالما أنه ما من الموت بد ، تعالوا نقاتل فنموت بشرف فهذا أجدر بنا وأفضل من الفرار .

وهكذا توقفوا ورتبوا صفوفهم بسرعة، فأوقفوا ثمانية من الرماة الذين كانوا معهم بالصف الأمامي وفي الوقت نفسه زحف الامبراطور

- ٤٦٢٣ -

مرزوفلوس ومعه جماعته من الاغريق نحوهم وانقض عليهم ، وعندما التحم أخفقوا في الحاق الضرر بهم ولم يتمكنوا من ترجيل واحد من الفرنجة ، وعندما التحم الاغريق بهم تخلى الفرنجة عن رماحهم واستلوا سيوفهم وحملوا فؤوسهم وقاتلوا دفاعا عن أنفسهم فقتلوا عددا كبيرا منهم .

١٢٥ - ولما رأى الاغريق أنهم لم يحققوا شيئا ، بل رجحت كفة الفرنجة عليهم ، استولى عليهم الرعب فنكصوا ولاذوا بالفرار ، وطاردهم رجالنا فقتلوا عددا كبيرا منهم وأسروا فئة معتبرة ، وحصلوا على مغانم واسعة ، وظلوا يطاردون الامبراطور مسافة نصف فرسخ وقدروا أن يتمكنوا من أسره ، ولما كان مرزوفلوس وأصحابه قد تعجلوا بفرارهم فقد وقعت الايقونة منهم ، كما وقعت خوذة الامبراطور وسقط صولجانه وأيقونته الشخصية وكانت من الذهب الخالص مرصعة بالجواهر ، لذلك بدت جميلة جدا وثمانية لم تر العين قط مايساويها .

١٢٦ - وعندما رأى الفرنجة كل هذا الذي حدث ، توقفوا عن متابعة المطاردة ، وامتلات قلوبهم بالفرحة ، وحملوا الايقونة وقدموا بها ونفوسهم كلها بهجة وسرور ، وفيما القتال كان دائرا وصل خبر الى المعسكر أن بعض الفرنجة قد اشتبكوا مع الاغريق بالمعركة ، فهب رجال المعسكر الى نجدتهم ، فقد حملوا أسلحتهم وبادروا مسرعين للوصول الى الكونت هنري ومساعدته ، غير أنهم عندما وصلوا الى هناك وجدوا الاغريق قد لاذوا بالفرار ، ورجالنا الفرنجة عائدون يحملون الغنائم بما في ذلك الايقونة الثمينة والجميلة كما ذكرت .

١٢٧ - وعندما دنا موكبهم من المعسكر خرج من به من الاساقفة ورجال الاكليروس في موكب مهيب لاستقبالهم والترحيب بهم ، واستقبلوا الايقونة بسرور ظاهر ، وبهجة عارمة ، وعهد بها الى أسقف تروي ، حيث كانت هناك كنيسة قد رموها وأدى ،

الأسقف القديس وهلل المصلون للأيقونة تهليلاً عظيماً ، وقرر البارونات إثر الاستيلاء على الأيقونة تقديمها إلى سيوتو وإليها حملت فيما بعد .

١٢٨ - وبعد ما عاد مرزوفلوس إلى القسطنطينية حاول خداع أهلها أنه قد انتصر وألحق هزيمة كبيرة بالكونت هنري ورجاله ، وبأدب بعض الاغريق إلى سؤاله : وأين الأيقونة والصولجان ؟ فأجابهم آخرون : كل شيء أفرد عن سواه ليخزن في مكان أمين ، ويحافظ عليه ، وسرى الخبر بين الناس حتى أنه وصل إلى الفرنجة : أن مرزوفلوس قد خدع قومه وأوهمهم أنه انتصر على الفرنجة ، فما كان من الفرنجة إلا أن أعدوا مركبا شحنوه بالرجال ، وحملوا الأيقونة ورفعوها عاليا على ظهر المركب ، ورفعوا إلى جوارها الصولجان الامبراطوري ، وجدفوا بهذا المركب جيئةً وذهاباً عارضين ما فيه أمام الأسوار ، فرأى ذلك من وقف فوق الأسوار وعدد كبير من أهل المدينة حيث أيقنوا أن ما رأوه لم يتعد الصولجان الامبراطوري والأيقونة .

١٢٩ - وعندما رأى الاغريق هذا العرض قصودوا مرزوفلوس ، وشرعوا بالنيل منه والاستهزاء به لخداعه وكذبه أنه هزم الفرنجة مع أنه فقد الأيقونة والصولجان الامبراطوري ، وبعد ما سمع الامبراطور منهم التقرير حاول أن يلتزم لنفسه المعاذير وقال لهم : لا تحزنوا ولا تيأسوا فليسوف أجعلهم يدفعون الثمن غالياً ، وسأنتقم منهم لذاتي .

١٣٠ - ثم عقد بارونات الفرنجة مع البنادقة اجتماعاً تداولوا فيه بشأن مصير العرش الامبراطوري بعد الاستيلاء على المدينة ، وبعد مشاورات مطولة توصلوا أخيراً إلى الاتفاق على اختيار عشرة من خيرة رجالات جيش الفرنجة وعشرة من أفضل البنادقة ، وأن يعهد لهؤلاء الرجال العشرين بمسألة اختيار الامبراطور المقبل ، وقرروا أن يلتزم الجميع بالقرار الذي سيتخذ

بهذا الصدد ، كما وقرروا بالإجماع أنه إذا جرى اختيار الامبراطور من بين الفرنجة فسيكون البطريرك من البنادقة ، واتفقوا أيضا أن تكون حصة الامبراطور المقبل ربع المدينة ، على أن يتم تقسيم الثلاثة أرباع المتبقية مناصفة بين البنادقة والحجاج ، وأن يعتبر كل شيء بمثابة اقطاع من الامبراطور .

١٣١ - بعدما أبرموا هذه الاتفاقات ، حشدوا جميع أفراد الجيش وجعلوهم يقسمون على الآثار المقدسة وأن يتعهدوا بحمل كل ما سيقع في أيديهم من الأسلاب والمغانم الى المعسكر وذلك من الفضة والذهب والأقمشة وكل ما زاد ثمنه عن خمس سوسيات ، ولم يستثنوا من ذلك سوى الأدوات والأطعمة ، كما وتعهدوا بعدم استعمال العنف أو القسوة مع أية امرأة والاتجرد من ثيابها ، ومن أمسك وهو يفعل ذلك سيكون عقابه القتل ، كما وجعلوهم يتعهدون أيضا بعدم اقتحام أي دير أو كنيسة أو التعرض لأي من رجال الاكليروس بسوء إلا إذا كان ذلك دفاعا عن النفس .

١٣٢ - وعندما أنجزوا هذا كله كان عيد الميلاد قد انقضى واقترب موعد الصيام الكبير ، وخلال ذلك كله كان الفرنجة والبنادقة قد أعدوا أنفسهم من جديد وجهزوا أنفسهم ، ومد البنادقة الجسور ثانية على سفنهم ، وصنع الفرنجة بعض الأكباش والألات المختلفة لدك الأسوار .

١٣٣ - وانتزع البنادقة أخشاب البيوت ، وصنعوا منها سواتر لسفنهم فقد ربطوا الألواح الخشبية وضموها الى بعضها ثم غطوها بفروع الكرمة حتى لا تتأثر أو تتحطم بحجارة العرادات والمجانيق .

١٣٤ - وقام الاغريق من جانبهم في الداخل بزيادة تحصين مدينتهم أفضل تحصين ، وجللوا الأبراج الخشبية التي أقساموها على قمة الأبراج الحجرية ، باللبد والجلود المدبوغة ، وقد تكون كل برج خشبي مما لا يقل عن خمسة طوابق وأحيانا ستة أو سبعة .

١٣٥ - وفي واحد من أيام الجمعة ، قبل أحد السعف بقرابة العشرة أيام ، أعد البنادقة والفرنجة سفن الأسطول وحملوها بالمعدات ، وصفوها إلى جانب بعضها وتأهبوا للهجوم العام ، وامتد صف السفن أمام المدينة مقدار فرسخ ، وحمل البنادقة والفرنجة أسلحتهم على خير مايرام .

١٣٦ - وكان في داخل المدينة مواجهة حيث قرر الفرنجة الهجوم على المدينة ، رابية ، وكان متيسرا رؤية هذه الرابية من السفن لأنها كانت أعلى من الأسوار ، وعسكر الأمبراطور مرزوفلوس الخائن مع رجاله فوق هذه الرابية وعليها نصب خيمته الأرجوانية ، وأحدث زعيق أبواقه وضرب طبوله أصواتا عالية وضجة شديدة ، وكان من غير الصعب بالنسبة للحجاج رؤية الأمبراطور مثلما تيسر له رؤية سفن الأسطول .

وعندما اقتربت السفن من الأسوار وأوشكت على القاء مراسيها ، أخذ الحجاج والبنادقة حبالا غليظة وقوية فسحبوا بها سفنهم إلى أقرب ما يمكن من الأسوار ونصب الفرنجة أكباشهم والاتهم المختلفة لدك الأسوار ، وصعد البنادقة فوق جسور سفنهم وهاجموا الأسوار بكل شجاعة ، وكذلك هاجمها الفرنجة بالآتهم .

١٣٧ - وعندما رأى الأغرقيق الفرنجة يهاجمونهم بهذه الشدة أخذوا يبحرون كتلا ضخمة من الحجارة - أكبر مما يتصوره المرء - على آلات الفرنجة فأمكنهم بذلك تحطيمها وتدميرها جميعا وبذلك لم يتجرا أحد على البقاء داخلها أو تحتها .

١٣٨ - ولم يستطع البنادقة من جانبهم أن يصلوا إلى الأسوار - أو إلى الأبراج لارتفاعها الشاهق ، وعلى هذا لم يتمكنوا لاهم ولا الفرنجة من إنجاز شيء ضد الأسوار أو داخل المدينة ، وعندما أيقنوا أنهم لن يستطيعوا تحقيق غاياتهم قرروا الانسحاب وقلوبهم قد امتلأت غما ، ولما راهم الأغرقيق يندسحون

ارتفعت أصواتهم بالصراخ والصفير عليهم ، وتسلفوا الأسوار ودلوا سراويلهم ولوهم ظهورهم °

وعندما رأى مرزوفلوس عملية الانسحاب أخذ يقرع طبوله ويزعق بأبواقه مما أحدث جلبة عظيمة ، وبعث بطلب عليه قومه وخاطبهم قائلاً : انظروا أيها السادة أولست إمبراطورا صالحا ؟ لاشك أنكم لم تعرفوا مثلي إمبراطور را صالحا ، أولم أنجح بعلمي ؟ إننا ماعدنا نخشاهم ولسوف أفتك بهم جميعا وأمرغ سمعتهم بالوحل .

وعندما انتهى هذا إلى الخجاج بلغ بهم الغضب غايته والأسى منتهاه ، وارتدوا إلى معسكرهم في الجانب الآخر من الميناء .

وبعدما عاد البارونات ، ونزلوا من السفن تداعوا إلى اجتماع عام ، وهم يشعرون بالاضطراب العظيم ، وأقروا أن مااقترفوه من آثام كان السبب في عدم انتصارهم على المدينة ، ثم تداول الأساقفة ورجال الأكليروس حول ماكان فأجمعت آراؤهم على أن المعركة كانت معركة عادلة ، وأنهم كانوا على حق في مهاجمة المدينة ، لأن أهلها كانوا فيما مضى يتبعون عقيدة كنيسة روما أما الآن فهم هراطقة يستخفون بهذه الكنيسة ولايقيمون أدنى اعتبار لعقيدها ، ويرون أن جميع أتباعها والمؤمنين بها في منزلة الكلاب ، وبناء عليه قال الأساقفة : إن الفرنجة على حق في حربهم للأغريق وأن الهجوم على القسطنطينية لم يكن إثما بل عملا مشروعاً .

١٤٠ - ثم أعلن في كافة أطراف المعسكر بوجوب مشاركة الجميع بما فيهم البنادقة بصلاة قداس صباح الأحد ، ونفذ الأمر وشرع الأساقفة بأعمال الوعظ في المعسكر ، وتولى الوعظ أسقف سواسون ، وأسقف تروي ، وأسقف هلبرسات ، والسيد جون فيسيت ، وراعي دير لوس ، وأوضحوا جميعا للحجاج أن معركتهم معركة محقة وقتالهم لاليس حول شرعيته ، لأن الأغريق خونة سفكوا ظلما وغدرا دم إمبراطورهم وسيدهم الشرعي ، وأنهم أسوأ

من اليهود ، وأنهم حين سسيهاجمونهم سسيهاجمونهم باسم الرب  
وبتفويض من البابا صاحب الكرسي الرسولي .

١٤١ — ثم طلب الأساقفة من الحجاج جميعا القيام بالاعتراف  
وتناول القربان ، وطلبوا منهم ألا يكونوا خائفين لقتالهم الاغريق  
لأنهم أعداء الرب ، وصدرت أيضا الأوامر بالبحث عن جميع النساء  
الخواطي في المعسكر وإخراجهن منه ونفيهن بعيدا ، ولهذا وضعوهن  
جميعا على ظهر إحدى السفن وأرسلوا بهن بعيدا عن المعسكر .  
١٤٢ — وبعدما فرغ الأساقفة من وعظ الحجاج وايضاح أن  
حربهم هذه المرة ضد الاغريق حرب مشروعة ، باشر الجميع  
بالاعتراف وتناول القربان .

١٤٣ — ومع حلول صباح يوم الاثنين تهيأ الحجاج جميعا ،  
وحملوا أسلحتهم ، ومثلهم فعل البنادقة ، ثم شرعوا في ترميم  
الجسور على السفن ، وأعدوا مراكب الحمولة والشواني وصفوها  
إلى جانب بعضها استعدادا للهجوم ، وامتد الأسطول وغطى جبهة  
طولها قرابة الفرسخ ، وزحفوا نحو الشاطيء ، وعندما اقتربوا من  
الأسوار غاية الاقتراب ألقوا مراسيمهم ، ثم بدأ هجومهم العنيف  
فأطلقوا الرمايات وقذفوا الأحجار ، وألقوا بالنار الأغريقية والمواد  
المشتعلة على الأبراج وأعالى الأسوار ، غير أنها لم تلتصق بها ، بل  
تدحرجت وذلك بفضل الجلود المدبوغة التي غطت الأسوار والأبراج .

١٤٤ — ودافع الذين كانوا بالمدينة عن أنفسهم بكل بسالة ،  
وكانوا يمتلكون ستين عرادة ومنجنيق لرمي القذائف ، وكانوا  
يصيبون في كل ضربة إحدى السفن ، لكن بما أنها كانت مغطاة  
بالألواح التي فوقها قضبان عرائش الكرمة ، لم تتأثر السفن  
بالرمايات مع أن الأحجار التي قذف بها الاغريق كانت ضخمة جدا  
بحيث لا يستطيع انسان بمفرده رفع إحداها عن الأرض .

١٤٥ — وكان مرزوفلوس واقفا على الرابية تزعق أبواقه

وتقرع طبوله بأصوات مدوية ، وكان يشجع رجاله قائلاً : بادروا من هنا ، توجهوا إلى هناك ، فقد كان يوجههم إلى حيث وجد الحاجة ماسة لوقوفهم .

١٤٦ - ولم تتمكن سوى أربع سفن أو خمسة من بين جميع سفن الأسطول من الوصول إلى الأبراج الشاهقة ، وكانت الأبراج الخشبية التي نصبت على ظهر الأبراج الحجرية ، والتي تألف كل منها من خمسة طوابق أو ستة أو سبعة ، مشحونة بأجمعها بالمقاتلين للدفاع عنها ، وثابر هؤلاء المقاتلون على التصدي للهجوم حتى سهل الرب وقوع معجزة ، فقد حمل البحر المضطرب سفينة أسقف سواسون . فارتطمت بواحد من هذه الأبراج ، وكان على جسر هذه السفينة أحد البنادق مع اثنين من الفرسان المسلحين ، وعندما ارتطمت بالبرج ، تعلق البندقي بيديه وثبت قدميه ثم تمكن بعد جهد شاق من الدخول إلى البرج ، وهناك تلقفه جنود الطابق الذي دخل إليه ، وكانوا من الانكليز والدانيين والأغريق ، واندفعوا نحوه فمزقوه بسيوفهم وبلطهم .

١٤٧ - ومرة ثانية حملت الأمواج المضطربة السفينة نفسها نحو الأمام فارتطمت مجددا بهذا البرج نفسه ، واستطاع أحد الفارسين واسمه أندرو دوربواز أن يتعلق بأعلى البرج بيديه وقدميه ويدخل إليه وهو يزحف على ركبتيه ، وما أن دخل إليه حتى انقض عليه المدافعون بسيوفهم وبلطهم وضربوه بكل عنف ، لكن رحمة الرب تداركته ولم تمكنهم من قتله بفضل الدرع الذي كان يرتديه ، ولم يشأ الرب أن تطول محنة هذا الفارس أو أن يموت ، بل أراد سقوط هذه المدينة بأيدينا ، وأن يضرب المذلة على أهلها جزاء على غدرهم وعدم وفائهم ، وللأغتيال الذي اقترفه مرزوفلوس ، وهكذا أتيح لهذا الفارس الانتصاب واقفا حيث شعر سيفه ، وعندما رأوا هذا المنظر المخيف تملكهم الدهشة واستبد بهم الرعب الشديد فلانوا بالفرار نحو الطابق الذي يليهم ، وحين شاهد الذين كانوا في هذا الطابق فرار أصحاب الطابق العلوي خائفوا أيضا وفروا بدورهم

- ٤٦٣٠ -

واندفع الفارس في أعقابهم ، وفي الوقت نفسه تمكن آخرون من اقتحام هذا الطابق ثم تناولوا حبالاً قوية ، وشدوا بها السفينة فألصقوها بالبرج ثم شدوها إليه ، وهنا اقتحم البرج عدد كبير من الناس .

١٤٨ - وحرك الموح هذه السفينة بعنف وأراد إبعادها عن البرج من جديد ، لكن لأنها كانت مشدودة الى البرج فقد اهتز هذا البرج بكل عنف ، حتى خيل للناس أن السفينة ستسحب وتلقيه أرضاً ، لذلك أرغم رجال السفينة على فك الحبال التي تربط السفينة بالبرج .

١٤٩ - وعندما عرف الجنود الذين كانوا في الطوابق الدنيا أن الفرنجة قد استولوا على أعلى البرج أصيبوا بالهلع وخارت عزائمهم ، فلم يحتملوا البقاء في البرج وتخلوا عنه ، وكان مرزوفلوس يرقب عن كثب ما يجري ، ولم يتوقف عن تشجيع رجاله وحضهم على القتال ، وارسالهم نحو هذا المكان الذي وقع عليه الهجوم الكبير

١٥٠ - وفيما أحداث الاستيلاء على هذا البرج جارية كما وصفنا بصورة اعجازية ، ارتطمت سفينة بييردي براشو ببرج آخر ، وتمكن الواقفون على جسرها من الانقضاض على البرج والاستيلاء عليه بمعجزة ربانية أخرى .

وما أن تم لنا الاستيلاء على هذين البرجين حتى شحناهما برجالنا ، ولم يتجرأ هؤلاء على مفايرتهما ، وظلوا في داخلهما ، بعدما شاهدوا حشود الناس الكثيفة على الأسوار على مقربة منهم ، فقد خافوهم ، وخافوا من الذين كانوا في الأبراج الأخرى الموجودة عند طرف الأسوار ، فقد كانوا من الكثرة بمكان يبعث على الدهشة

١٥١ - وعندما رأى اللورد بيتر الدمياني عدم مبارحة الذين كانوا

بالأبراج لها لكثافة حشود الأغرريق ، نزل الى اليايسة وسار عليها هو ومن معه ، قبلغا ممرا ضيقا قام بين البحر والأسوار ، وعندما وقفوا هناك تفحصوا السور ، فرأوا علامات باب سرداب سري ، كان قد نزع ثم أغلق ثانية ، وتقدم نحوه اللورد بيتر الدمياني ومعه عشرة فرسان وستين من الرجالة .

١٥٢ وكان هناك راهب اسمه الليوم دي كلا ري ، وكان مقداما له فعاليته في الملمات ، فهو الأول وعلى رأس كل هجوم يكون حاضره ، وقد قام هذا الراهب بأعمال باهرة أثناء الاستيلاء على برج غلاطية ، لأنه امتك طاقة جثمانية تفوق بها على غيره ممن كان بالجيش ، اللهم باستثناء اللورد بطرس دي براشو ، فهذا كان متفوقا على الجميع كبيرهم وصغيرهم ، بحيث لم يباريه انسان في استخدام السلاح أو امكاناته الجسدية .

ولدى وصولهم الى باب هذا السرداب هاجموه بكل شجاعة واستخدموا المعاول لفتحه ، وكانت رشقات الذشاب تتطاير حولهم ونحوهم وذلك مع قذائف كبيرة من الحجارة ألقيت عليهم من فوق الأسوار ، حتى كادوا يدقنون هناك لكثرة ما ألقي عليهم .

١٥٣ - وكان جنودنا يحملون الترسة ويلبسون الدروع ، وبالترسة غطوا الذين كانوا يعملون على فتح السرداب ، ولم يكتف الأغرريق بقذفهم بالحجارة الضخمة بل رموهم بالآنية المملوءة بالقار المغلي والنار الأغرريقية ، ولهذا كان عدم هلاكهم معجزة من معجزات الرب ، وتحمل مولاي بيتر الدمياني ورجاله المشاق الهائلة والمصاعب الجمة حتى تمكنوا من فتح السرداب بالفؤوس والسيوف القوية ، كما واستخدموا في ذلك الكتل الخشبية والأعمدة والمطارق ، حتى نجحوا أخيرا في احداث ثغرة كبيرة ، لكن عندما جاءوا ليدخلوا من السرداب نظروا فرأوا من الجانب الآخر عددا هائلا من كبار القوم وصغارهم في انتظارهم ، حتى خيل اليهم أن نصف العالم قد اجتمع هناك ، لذلك لم يقدموا على دخوله .

١٥٤ - وعندما رأى الراهب الليوم عدم اقدام أحد على الدخول ، تقدم هو وقال بأنه سيخله ، وكان هناك آنذاك فارس آخر هو أخوه واسمه روبرت دي كلاري ، فنجاه ولم يشجعه على الدخول ، فأصر الراهب على موقفه بالدخول ، ثم دخل الى السرداب وزحف على يديه وركبتيه ، وعندما شاهده أخوه تعلق به وحاول جره من قدميه وجذبه اليه جذبا شديدا ، فلم يفلح ، ودخل الراهب على الرغم من تعلق أخيه به ، وعندما صار بداخله اندفع نحوه عدد كبير من الأغريق ، وتابع الذين على الأسوار قذفه بالحجارة الضخمة ، ومع هذا شهر سيفه وانقض على الأغريق وحمل عليهم بشدة ففروا من أمامه وتبعثروا تبعثر الشياه ، فنادى على الذين ظلوا بالخارج ، أي اللورد بيتر وجماعته قائلا : « أيها السادة ادخلوا واحملوا بشدة ، فأنني أراهم ينسحبون بيأس ، وها هم قد شرعوا بالفرار » .

وما أن سمع مولاي بيتر وأصحابه الذين وقفوا معه بالخارج كلامه هذا حتى بادروا الى الدخول ، ومع أن عددهم لم يتجاوز العشرة فرسان مع ستين من الرجال ، فقد اشتد خوف الأغريق الذين كانوا فوق الأسوار ، والذين كانوا في تلك المنطقة ، وما أن رأوهم داخل السرداب حتى تخلوا عن جزء كبير من الأسوار وهربوا ، وكان الامبراطور مرزوفلوس الخائن واقفا على مقربة منهم ، لا يبعد عنهم أكثر من غلوة سهم ، وهو يأمر بقرع طبوله والنفخ بأبواقه الفضية ، محدثا بذلك جلبة عالية .

١٥٥ - وما أن أبصر الامبراطور مولاي بيتر ورجاله في داخل المدينة حتى ساق ضدهم وانقض عليهم بكل سرعة وشدة ، وهنا أخذ مولاي بيتر يشجع رجاله على الصمود قائلا : « عليكم الآن أيها السادة ، أن تظهروا شجاعتكم في قتالهم ، وها هو الامبراطور مقبل نحوكم ، فلنلتحم معهم ولنقاتلهم بكل شدة وحذار أن يتزحزح أيا منكم عن مكانه ، فالواجب هو اثبات شجاعتكم وقدراتكم .

١٥٦ - وحين ساق مزروفلوس ضد رجالنا ظن أنهم سيفرون ، لكنه عندما رآهم ثابتون ، لوى رأس حصانه وارتد عائدا نحو خيمه ، وهنا عندما رأى مولاي بيتر الامبراطور قد نكص على عقبيه ، أنفذ مجموعة من رجاله الى باب كان على مقربة منهم ليحطموا أغلاقه ويفتحوه ، وبالفعل ضربوه بالفؤوس والسيوف حتى حطموا مزاليجه وقضبانه المعدنية الضخمة ، وفتحوه ، وعندما شاهد من كان بالخارج هذا الأمر أحضروا مراكبهم وصعدوا اليها مع خيولهم ثم نزلوا من عليها واقتحموا المدينة من هذا الباب باندفاع هائل .

١٥٧ - وحين بات الفرنجة في داخل المدينة وهم على سهوات خيولهم ، سيطر الرعب على الامبراطور الخائن مزروفلوس ، فتخلى عن معسكره وخلفه وراءه ، وترك به أمواله وعاد الى قلب المدينة التي كانت كبيرة جدا متسعة طولاً وعرضاً ، حيث يقال إن طول أسوارها المتلفة حولها تسعة فراسخ كاملة ، كما أن طول المدينة من الداخل فرسخين ومثل ذلك عرضها ، وعندما هرب الامبراطور استولى مولاي اللورد بيتر على معسكر مزروفلوس واستحوذ على ما خلفه من خزائن وأمتعة .

١٥٨ - ولم يمتلك المدافعون عن الأسوار والأبراج الشجاعة والثبات حتى يبقوا حيث هم بعدما رأوا الفرنجة يدخلون المدينة والامبراطور ينجو بنفسه ، فهربوا بدورهم ولم يتوقفوا بل أسرعوا كثيرا ، وهكذا سقطت المدينة .

١٥٩ - وبعدها تم الاستيلاء على المدينة على هذه الشاكلة ، توقف الفرنجة ولم يتابعوا الزحف الى داخلها ، وإثر ذلك اجتمع كبار البارونات للتشاور حول الخطوة التالية ، ثم نودي في كافة أرجاء الجيش ألا يتوغل أحد الى داخل المدينة فيورد نفسه موارد التهلكة ، فالتوغل ينطوي على مخاطر جسام ، فقد يرميهم الناس بالحجارة من القصور الكبيرة والعالية ، أو يفتكوا بهم في الأزقة الشديدة

الضيق حيث لا يستطيعون وقتها الدفاع عن أنفسهم ، أو أن تشعل النار في المدينة خلفهم فيموتون حرقا .

وخوفا من هذه المخاطر والشدائد لم يتجرا الجنود على الدخول الى احياء المدينة والتوزع في داخلها ، وأثروا الاقامة حيث هم .

١٦٠ واتفق البارونات بشأن الخطوة التالية وقرروا أن يتسلح الفرنجة ويستعدوا للقتال صباح اليوم التالي ويصفوا قواتهم ويعبئوها بانتظار الاغريق إذا كان بنيتهم الهجوم عليهم ، ورتبوا الأمور أن يكون القتال في مكان مكشوف بعيد عن العمران ومقربين أن تعدادهم بالنسبة للاغريق واحد إلى مائة ، لكن اذا تقاعس الاغريق عن القتال ورفضوا تسليم المدينة ، عندها يتوجب على الفرنجة مراقبة اتجاه هبوب الرياح ثم يلقون النار في المدينة من جهة مهب الرياح وبذلك يحرقون المدينة ويدمرون الاغريق ويقهروهم بالقوة .

ووافق البارونات على هذه الخطة بالاجماع ، وبعد صلاة العتمة نزع الصليبيون ما عليهم من سلاح واستراحوا وأكلوا وناموا ليلتهم تلك داخل الأسوار لكن أمام أسطولهم .

١٦١ - وعند منتصف الليل ، عندما أبرك مـرزوقلوس الامبراطور الخائن ، أن الفرنجة باتوا جميعا داخل المدينة تزايد فزعه ، ولم يعد يمتلك الشجاعة للبقاء ، ففر في منتصف الليل حتى لا يعرف أحد خبر فراره ، لكن عندما عرف الاغريق أخبار فرار الامبراطور ، عمدوا في الليلة نفسها الى واحد من كبار رجالات المدينة واسمه لاسكاريس وتوجوه امبراطورا ، وهذا بدوره لم يمتلك الصبر والشجاعة ليملك حيث هو ، فقام قبل بلوغ الفجر بركوب ظهر إحدى السفن ، وعبر مضيق البوسفور ، وتوجه الى مدينة نيقية الكبرى ، التي كانت مدينة رائعة ، فتملكها وهناك أقام حيث أصبح امبراطورها .

١٦٢ - ومع اشراقة شمس صباح اليوم التالي جاء موكب من الرهبان ورجال الاكليروس في ثيابهم الدينية وتبع هؤلاء الانكليز والدانيون وغيرهم من اهالي البلاد الأخرى ، الى معسكر الفرنجة ، حيث التمسوا الرحمة لأنفسهم ، وأعلموهم بالذي صنعه الأغر يق ، وأخبروهم أن جميع الأغر يق من سكان المدينة قد هربوا منها ، ولم يبق منهم فيها غير الفقراء والضعفاء والمرضى ، وعندما سمع الفرنجة هذه الأخبار علاهم السرور وعظمت فرحتهم ، وأمروا بالنداء في أوساط الجيش ألا يحتل أحد بيتا حتى تتقرر الصورة التي سيتم بمقتضاها توزيع الممتلكات .

١٦٣ - واجتمع بعد هذا كبار القادة والأثرياء من البارونات معا واتفقوا على أن يتوازعوا فيما بينهم أفضل مساكن المدينة ، دون أن يدري بذلك سواد الحجاج وفقراء الفرسان ، وهكذا شرع كبار البارونات والقادة من تلك الساعة في خديعة العامة والكذب عليهم واساءة عشرتهم ، وسيدفعون ثمن ذلك باهظا فيما بعد - كما سنخبركم - ، فقد اغتصبوا أفضل بيوت المدينة وأغناها ، واستحونوا عليها قبل أن يعرف الفرسان الفقراء والعامة بذلك .

وعندما علم صفار الفرسان والفقراء بتفاصيل ما جرى ، توجه كل واحد منهم باتجاه واستولى على كل ما استطاع الاستيلاء عليه ، وعثروا على أشياء كثيرة وأخذوا ما لا يمكن عده أو حصره ، وتركوا أيضا شيئا كثيرا ، فقد كانت القسطنطينية مدينة عظيمة الاتساع أهلة بالسكان .

١٦٤ - واستولى الماركيز ( بونيفيس دي مونتفرات ) على قصر بوكليون وعلى كنيسة آيا صوفيا وقصر البطريرك ، واستولى في الوقت نفسه كبار البارونات والقادة على كل ما صادفوه من أجمل القصور وأغناها وأهم الأديرة وأكثرها ثراء ، وبعدما تم للفرنجة الاستيلاء على المدينة لم يتعرضوا لأحد ممن بقي بالمدينة سواء أكان

فقيرا أو غنيا بسوء ، وكان قد نزع عن المدينة من أراد النزوح وبقي فيها من أراد البقاء ، مع أن أكثر أهلها ثراء هم الذين غادروها .

١٦٥- وبعد هذا صدرت الأوامر بجمع الغنائم في إحدى كنائس المدينة ، وعندما اكتمل التجميع جرى اختيار عشرة من كبار فرسان الحجاج وعشرة من البنادقة ممن اتسم بالأمانة ، وأوكلوا اليهم حراسة هذه الثروات ، وكان حجم هذه الثروات هائلا ، وكان فيها كثير من الأواني الذهبية والفضية الغالية الثمن ، والملابس المطرزة بالذهب والمرصعة بالمجوهرات الثمينة ، وكان منظر ماجمع هناك منظرا عجيبا مثيرا للدهشة ، ولم يحدث قط - منذ بداية الخليفة - أن رأت عين أو غنم قوم مثل هذه الغنيمة الغالية الهائلة ، لابل لم يحدث مثل ذلك منذ أيام الاسكندر أو شارلمان ولاقبلهما ولابعدهما ، ويخيل لي شخصيا أنه لم يتوفر في جميع مدن العالم الأربعين الأكثر ثراء ماتوفر بالقسطنطينية ، وكان ماعثروا عليه هائلا لأنه فعلا كما يقول الاغريق : ان ثلثي ثروات العالم موجودة بالفعل في القسطنطينية ، وأما الثلث المتبقي فموزع على بقية انحاء الدنيا .

وأخذ الأشخاص أنفسهم الذين عهد اليهم بالحراسة كل ماطمعوا به من الحلبي الذهبية ، فقد امتدت ايديهم بالسرقعة الى هذه الثروات والى ماوجوده ، وأخذ أيضا كل رجل ثري مااشتتهه نفسه من الحلبي الذهبية والأقمشة الحريرية والمذهبة وغير ذلك وانطلق به ، وهكذا سرق الأعيان الغنائم واستولوا عليها حتى لم يبق شيء ليتقاسمونه مع عامة أفراد الجيش من الحجاج والفرسان الفقراء والجند الذين أسهموا في الحصول على هذه الغنائم :

نعم لم يبق شيء لاقتسامه مع هؤلاء سوى أوعية الفضة التي كان من عادة نساء المدينة حملها معهن الى الحمامات ، أما المغانم الأخرى التي توجب قسمتها فقد اختفت - كما حدثت - ومع هذا أخذ البنادقة النصف المقرر لهم ، أما الجواهر والثروات الكبيرة

التي تركت لتتقسم فقد سرقت أيضا بأساليب مختلفة ، كما سأقص عليكم فيما يلي .

١٦٦- بعدما كمل احتلال المدينة ، أسكن الحجاج فيها ، وبعد الاستيلاء على القصور عثر رجالنا فيها على ثروات هائلة أكثر مما كانوا يتوقعون ، وكان قصر بوكليون قصرا غنيا جدا ، بني على شكل سأصفه لكم فيما يلي .

١٦٧- وكان في هذا القصر الذي استولى عليه الماركيز خمسمائة قاعة اتصل بعضها ببعض وزينت جميعها بالفسيفساء الذهبية ، وكان فيه ثلاثون بيعة مابين صغيرة وكبيرة ، عرفت احداها باسم البيعة المقدسة ، وكانت غنية جدا ورائعة الجمال ، حتى أنه لم يكن بها صائر باب أو مزلاج مما يصنع عادة من الحديد الا وكان مصنوعا من الفضة ، ولم يكن بها عمود الا وصنع من أفضل أنواع الرخام ذات الالوان الجميلة التي حليت بالأحجار الكريمة ، وكانت أرض البيعة مرصوفة بالمرمر الأبيض الناعم نعومة البلور والصافي مثل صفائه ، وفي الحقيقة بلغت هذه البيعة من الثراء والجمال درجة لانظير لها لذلك من الصعب توفيتها حقها بالوصف ، وقد حوت كثيرا من الآثار المقدسة الرائعة ، فقد عثر أحدهم على قطعتين من الصليب المقدس بحجم ساق الرجل ويبلغ طولهما ثلاثة أقدام ، كذلك عثر فيها على الحربة الحديدية ، التي طعن بها جنب مولانا ، وكما كان هناك مسماران من المسامير التي دقت بها كفاه وقدماه ، وعثر أحدهم على قارورة زجاجية فيها بعض من دمه ، ووجد هناك أيضا القميص الذي كان يرتديه ، ثم نزعوه عنه حينما ساقوه الى جبل الجلجلة ، وعثر أيضا على تاج الشوك المبارك الذي توجه به وقد صنع من عيدان ذات شوك قاطع كأنه أسنة الرماح .

ووجد أحدهم قطعة من ثوب مولاتنا العنزاء مع رأس سيدنا

القديس يوهنا المعمدان ، وكثيرا غير هذا من البقايا والآثار المقدسة الرائعة التي أنا عاجز عن تعدادها أو وصفها لك بصدق تام .

١٦٨- وكان بهذه البيعة أثر مقدس آخر سهوت عن ذكره ، وهو عبارة عن وعائين ثمينين علقا من وسطيهما بسلسلتين من الفضة الثقيلة ، وكان في أحد هذين الوعائين قطعة من الأجر وفي الأخرى قطعة من القماش ، وسأحدثكم من أين جاءت هذه الآثار المقدسة :

كان فيما مضى في القسطنطينية رجل يعمل بصناعة القرميد ، وفيما هو يعمل في قردة سقف إحدى الأرامل ، محبة بالرب ، متدشرا بقطعة من القماش تجلى له مولانا وقال له : أعطني هذه القطعة من القماش ، فناوله الرجل اياها ، فوضعها مولانا على وجهه فانطبعت ملامحه عليها ، ثم أعادها الى الرجل ، وطلب منه أن يحملها معه ، وأن يمسح بها المرضى ، فكل من آمن بها تعافى من مرضه ، وأخذها عامل القرميد ليحملها معه ، لكن حدث أن حان وقت صلاة العتمة ، فأخذها هذا الرجل بعدما ردها اليه الرب ، وأخفاها تحت قطعة من الأجر ، وبعد أداء الصلاة ، عاد ليأخذها ويمضي بها في حال سبيله ، وعندما رفع القرميدة شاهد أن صورة مولانا قد طبعت عليها أيضا ، فحمل القرميدة وقطعة القماش معا ، وشفى بهما - فيما بعد - عددا كبيرا من المرضى .

١٦٩- وكما أخبرتك كان هذان الأثران المقدسان معلقين في وسط البيعة ، وكان في هذه البيعة أثر مقدس آخر ايقونه عليها صورة القديس ييمتري ، وكانت هذه الأيقونة تنضح بالزيت الكثير الى حد أنه كان من غير الممكن مسحه بسرعة مساوية لسرعة تدفق الزيت منها .

١٧٠- وضم قصر بلاشرين عشرين بيعة ، ومالا يقل عن مائتين او ثلاثمائة قاعة ، اتصل بعضها ببعض ، وزينت جدرانها بالفسيفساء المذهبة ، وبلغ هذا القصر من الأبهة والفخامة درجة

يعجز كل انسان عن وصفه لك أو يتحدث عن ثرائه وروعته ، ولقد وجدوا في هذا القصر ثروات هائلة جدا كان من بينها تيجان الأباطرة المتقدمين ، وهي غالية جدا ، مع حلي ذهبية ثمينة وأقمشة حريرية غالية ، وعثروا أيضا على الملابس الامبراطورية الثمينة والجواهر النفيسة ، وعلى عدد كبير من الكنوز الهائلة ، ولا يمكن لانسان أن يقدر كميات الذهب والفضة الكبيرة جدا ، التي عثروا عليها في هذه القصور وفي أماكن أخرى كثيرة من المدينة .

١٧١- ثم أخذ الحجاج يطوفون بالمدينة لمشاهدة مباهجها وضخامة حجمها وقصورها وأديرتها وكنائسها الرائعة مع ماحوته من نخائر وكنوز ، وأكثر ما أعجبوا برؤية كنيسة آياصوفيا فقد أدهشهم جمالها أيما ادهاش وكذلك ماحوته من كنوز .

١٧٢- وسأحدثك الآن عن كنيسة آياصوفيا وكيف أقيمت ، واسم آياصوفيا بالاغريق يقابله الثالوث المقدس بالفرنسية ، وهي كنيسة مستديرة البناء وسقفها عبارة عن قباب دائرة حولها محمولة على أعمدة ضخمة ورائعة جدا ، وليس بها عمود الا وهو مصنوع من أفخر أنواع الرخام أو المرمر أو غير ذلك من الحجارة الثمينة وليس بها عمود الا وله قدرة على شفاء نوع معين من الأمراض ، فواحد منها يزيل أمراض الكليتين اذا حكنا به ، ويشفي آخر من ذات الجنب ، ويشفي آخرون من عدد آخر من الأمراض .

وليس بهذه الكنيسة مزلاج باب أو صائر أو شريط أو أي شيء آخر مما يصنع عادة من الحديد ، الا وهو مصنوع من الفضة .

١٧٣- ومنذ الكنيسة الرئيس ثمين جدا لايمكن تقديره بأي مبلغ مهما كان كبيرا ، لأن مائنته - التي كان قد أمر أحد الأباطرة بصنعها - كانت من الذهب والجواهر الثمينة المتمازجة ويبلغ طول هذه المائدة أربعة عشر قدما .

وقام حول المنبج أعمدة فضية سبنت عرشا قام على الهيكل وكان أشبه ببرج كنيسة دقيق الأطراف ، قد صب كله من الفضة الخالصة ، مما يعجز أي فرد عن تقدير المال الذي يثمن به ، وكان المكان المعد لترتيل الانجيل فيه بديعا جدا ، بالغ الجمال ، ليس بإمكاننا وصف كيفية صناعته .

١٧٤- وبالكنيسة من الداخل مائة شمعدان - كل واحد منها معلق بسلسلة فضية ضخمة تبلغ قطر ذراع الرجل ، ولكل شمعدان خمسة وعشرين مصباحا أو أكثر ، ولا يقل ثمن الشمعدان الواحد عن مائتي مارك فضي .

١٧٥- وكان باب الكنيسة الرئيسي مصنوع كله من الفضة ، وقد علق الى حلقاته أنبوب لا يعرف أحد كنهه المواد التي صنع منها ، وهو في حجم قصبة الناي الذي يعزف به الرعاة ، ولهذه القصبة فضائل جمة سأحكي خبرها وأقصها عليك فهي ان وضعت كلها أو جزء منها بقم مريض - يشكو من علة في جسده مثل انتفاخ في البطن - امتصت هذه القصبة كل مابه من مرض وسحبت السموم وألقت من فمه وشفته سريعا ، انها تلتصق بفمه ، فتري عينيه تدوران في محجريهما ، ولايستطيع التخلص منها حتى تمتص مابه من أسقامه ، وكلما كانت علته شديدة كلما اشتد التصاق القصبة به ، لكن اذا وضعها سليم في فمه لانتثبت به قليلا أو كثيرا .

١٧٦ - وقام أمام كنيسة أيا صوفيا عمود هائل الحجم لايستطيع ثلاثة رجال الاحاطة بقطره ، وارتفاعه ثلاثمائة قدم ، وهو من الرخام المكفت بالنحاس الأصفر ، والمشدود بأطواق حديدية قوية ، ووضع على رأس هذا العمود لوح منبسط وكبير من الحجر ، طوله خمسة عشر قدما ، ولايقل عرضه عن ذلك ، وثبت عليه تمثال امبراطور صنع من البرونز وهو يمتطي حصانا برونزيا كبيرا ، ومد هذا الأمبراطور يده باتجاه بلاد الوثنيين ، وكان على هذا التمثال كتابة فحوها أن هذا الأمبراطور قد أقسم ألا يهادن المسلمين أبدا ،

وأمسك بيده الأخرى كرة من الذهب عليها صليب ، ويقول الأغرقيق :  
هذا تمثال الأمبراطور هرقل .

ووجد على كفل الحصان ورأسه وأطرافه مالا يقل عن عشرة  
أعشاش من أعشاش مالك الحزين يبيض بها كل عام .

١٧٧ - وفي ناحية أخرى من المدينة وجدت كنيسة غير هذه  
اسمها كنيسة الرسل السبعة ، يقال إنها أعظم وأجمل من كنيسة  
أيا صوفيا ، ولا يمكن لانسان أن يصف لك ثراء هذه الكنيسة  
وروعتها ، وهي تضم بين جوانبها جثث سبعة رسل ، وبها أيضا  
العمود الرخامي الذي شدوا إليه مولانا قبل رفعه على الصليب ،  
ويحكى أنه في هذا المكان يرقد الأمبراطور قسطنطين ( الكبير  
وأمه ) هيلانة ، وعددا آخر من الأباطرة سواهما .

١٧٨ - ويوجد في ناحية أخرى من المدينة بوابة تسمى بوابة  
العباءة الذهبية ، وضع عليها كرة كبيرة من الذهب كتب عليها  
رصد ، ويقول الأغرقيق : لن تقع بالمدينة صاعقة طالما هي قائمة في  
مكانها ، وعلى هذه الكرة أيقونة من النحاس قد ارتدت عباءة من  
الذهب وقد مدت كماها إلى الأمام وقد كتب عليها : « من يعيش عاما  
في القسطنطينية سينال عباءة ذهبية كالتي ارتديها » .

١٧٩ - وهناك في ناحية أخرى من المدينة بوابة أخرى اسمها  
البوابة الذهبية ، وقد وضع عليها فيلين من النحاس حجمهما كبير  
ومنظرهما عجيب ، ولاتفتح هذه البوابة أبدا إلا حين عودة أحد  
الأباطرة من حملة يكون قد استولى فيها على أرض عدوة ، فإذا  
حدث مثل هذا خرج من المدينة موكب مهيب ضم رجال الأكليروس  
لاستقباله ، وتفتح البوابة ثم يئتي بمركبة من الذهب على شكل عربة  
ذات أربع عجلات كالتي نسميها كوري - وفي وسط هذه المركبة  
مقعد مرتفع عليه عرش حوله أربعة أعمدة تحمل مظلة تظل العرش  
الذي يبدو وكأنه قد صيغ كله من الذهب ، وحين يجلس الأمبراطور

على هذا العرش يضع على رأسه تاجه ، ويدخل من تلك البوابة ، ثم يحمل بهذه المركبة إلى قصره في سرور وبهجة عظيمة .

١٨٠ - وفي ناحية أخرى من المدينة مكان رائع آخر ، حيث قام على مقربة من قصر بوكليون ساحة شاسعة تدعى الملعب الإمبراطوري ، ومساحته غلوة سهم ونصف الغلوة طولاً وغلوة واحدة عرضاً ، وأقيم حول هذا المكان ثلاثين أو أربعين صنفاً من المقاعد ، كان الأغريق يجلسون عليها لمشاهدة الألعاب ، وعلاه أيضاً مقصورة كبيرة عظيمة الجمال والاناقة ، ففيها كان يجلس الإمبراطور والأمباطورة وعلية القوم ونسأؤهم أثناء الاحتفالات والألعاب .

وإذا وجد أثناء اللعب اثنان يتباريان ، تراهن الإمبراطور والأمباطورة على أن الرابع سيكون هذا الطرف أو ذاك ، ومثلهما كان يفعل المشاهدون للألعاب .

١٨١ - وكان يوجد على طول هذه الساحة المكشوفة جدار يبلغ ارتفاعه خمسة عشر قدماً وعرضه عشرة أقدام ، وعليه تصاوير رجال ونساء وخيول وثيران وجمال وسببة ، وأسود ، ومختلف أنواع الحيوانات الأخرى ، وكلها مصنوعة من النحاس الأحمر ، وقد أبدعتها يد صانع ماهر حتى أن الناظر إليها لا يكاد يميزها عن نظائرها الحية ، ولا شك أن مهرة الصانع في بلاد المسيحية أو الوثنية عاجزين - مهما بلغوا من براعة - عن صناعة مايمثلها في الدقة ، وكانت هذه التماثيل فيما مضى ذات قوة سحرية ، ولكن بطل الآن ذلك السحر ، وقد أصيب الفرنجة بالدهشة حينما رأوا الملعب الإمبراطوري هذا .

١٨٢ - وفي ناحية أخرى من المدينة منظر عجيب آخر - فقد انتصب هناك تماثلان من البرونز لامرأتين تفنن صانعهما بهما حتى شابها الطبيعة ، وبلغا من الجمال مبلغاً فوق التقدير ، وكان لا يقل

ارتفاع أي منهما عن عشرين قدما ، وكان أحد هذين التمثالين يمد يده باتجاه الغرب وعليه نقشت عبارات فحواها : سيأتي قوم من الغرب فيستولون على القسطنطينية أما يد التمثال الآخر فكانت ممدودة باتجاه مكروه ، وقد كتب عليها : « إن ذاك هو المكان الذي سيقتلونهم فيه » .

١٨٣ - وأقيم هذان التمثالان أمام سوق الصيارفة ، وكان فيما مضى سوقا شديد الازدحام ، لأن أغنياء الصيارفة اعتادوا على الجلوس في هذه البقعة وأمامهم أكوام ضخمة من النقود والأحجار الكريمة ، وذلك قبل احتلال المدينة ، أما الآن بعد الاستيلاء عليها فلم يبق بها منهم كثيرون .

١٨٤ - وفي جانب آخر من المدينة منظر عجيب آخر ، فقد قام هناك صومعتان شاهقتان عريضتان لا يمكن لثلاثة رجال تطويق أي منهما ، وتجاوز ارتفاع كل منهما ثلاثمائة قدم ، وقد اعتاد الناس على التعبد فوق قمة هاتين الصومعتين في حجر صغيرة توفر لها وللصومعتين أبواب تفضي إلى سلالم يمكن للمرء الصعود عليها .

١٨٥ - ونقشت على جدران هاتين الصومعتين صور ورسوم كل الأحداث التي ألت بالقسطنطينية ونبوءة كل ما كان مقدر له أن يقع بها ، لكن لم يوجد أي انسان كان بإمكانه فهم واحدة من النبوءات .

حتى تترجم الى الواقع ، فبعد حدوث حادث من الاحداث كان الناس يهرعون الى هناك ويمعنون النظر فيما امامهم من رسوم ، وعندما يفهمون لأول مرة خبر ماجرى ، حتى ان استيلاء الفرنجة على المدينة كان مدونا ومرسوما على جدران هاتين الصومعتين ، وكذلك رسوم السفن التي استخدموها في الانقضاض على المدينة والاستيلاء عليها ، لكن الاغريق لم يدركوا سر هذه الرسوم قبل وقوع الواقعة ، لكن بعدما وقعت قصدوا مكان الصومعتين وتأملوا ماعليهما من رسوم وكتابة وصور وسفن فاذا بها تقول : « ان شعبا

من نوي الشعور القصيرة والسيوف الفولاذية سيقتدمون من الغرب لغزو القسطنطينية .»

١٨٦ - لقد وجد الفرنجة بعد الاستيلاء على القسطنطينية كل هذه العجائب منتشرة في أرجائها ، لابل هناك اكثر بكثير مما حكيت لك عنه ، ويخيل لي انه مامن واحد على وجه البسيطة يمكنه ان يحصي عدد جميع اديرة المدينة لكثرتها وكثرة من بها من الرهبان والراهبات ، الى جانب الكنائس الأخرى التي قامت في خارجها ، فقد قدر من كان بها من رجال الاكليروس والرهبان وسواهم بثلاثين الفا .

١٨٧ - لذلك سادع جانباً الحديث عن بقية الاغريق رفيهم وفقيرهم وعاليهم ودانيهم ، كما انني لن احكي المزيد عن حجم المدينة وما بها من قصور وعجائب اخرى ، ذلك انه لا يستطيع احد ، مهما كان شأنه ، ومهما طال مقامه بالمدينة ان يصفها كلها ويعد ما بها ، حتى انه اذا ذكر لك واحداً من مائة مما في كنائسها وقصورها من نخائر وثروات وجمال وابهة وترف ، بدالك وكأنه يحكي لك اسطورة ، ولن تصدقه انذاك .

١٨٨ - وكانت كنيسة مريم قديسة بلا شرين من بين روائع المدينة ، فهي التي تحتفظ بالحنوط الذي وضع في كفن مولانا ، وهو يتصيب كل يوم جمعة حتى يسهل على المشاهد رؤية ملامح وجه مولانا ، ولا يعرف احد من الاغريق او الفرنجة ماذا جرى لهذا الحنوط بعد الاستيلاء على المدينة .

١٨٩ - وكان هناك دير سجي فيه جثمان الامبراطور الصالح مانويل ، ولم يحدث قط ان سجي انسان سواء اكان قديسا او قديسة تسجيه بهية مثل تسجية هذا الامبراطور .

١٩٠ - وفي هذا الدير اللوح الرخامي الذي سجي عليه مولانا

بعدها انزلوه من على الصليب ، وما يزال حتى الان من الممكن رؤية الدموع التي نرفتها سيدتنا عليه .

١٩١ - وبعدها حدث هذا كله ، اجتمع في احد الايام جميع البارونات وكبار القادة في قصر بوكليون ، الذي استولى عليه الماركيز ، وشرعوا يتداولون فيما بينهم حول الحاجة لتنصيب امبراطور ، ووجوب انتقاء عشرة نقباء من بينهم ، ثم طلبوا من دوج البندقية اختيار عشرة نقباء من عنده .

١٩٢ - وعندما سمع الماركيز هذا الاقتراح أراد أن يكون هؤلاء النقباء من أتباعه ، ممن يعتقد أنهم سيقدمون على اختياره امبراطورا دون سواه ، ذلك أنه تطلع لأن يكون هو نفسه الامبراطور المقبل ، ولم يوافق البارونات على ماأراده ، ورفضوا أن يكون النقباء المختارون من أتباعه ، لكنهم لم يعترضوا على أن يكون بعض النقباء من رجاله .

١٩٣ - وعندما وقف دوج البندقية على فحوى المناقشات - وكان رجلا محنكا مستقيما - قال على مسمع من الجميع: «اصفوا الي ايها السادة ، اقترح عليكم وضع القصور تحت الحراسة العامة للجيش قبل القيام باختيار الامبراطور ، فلو وقع الاختيار علي سيكون بإمكانني الذهاب مباشرة لاحتلال القصور بدون معارضة ، وكذلك الحال اذا اختاروا كونت فلاندرز ، عليه وقتها المضي لتوه الي القصور لاحتلالها دون معارضة ، وهذا هو الحال اذا اختاروا الماركيز ، او كونت لويس ، او كونت سانت بول ، او حتى لو اختاروا فارسا فقيرا ، فالذي سيكون الامبراطور لابد له من تملك القصور دون معارضة من الماركيز او من كونت فلاندرز او من سواهما .

١٩٤ - وبعدها سمع الماركيز هذا الاقتراح ، لم يكن بإمكانه معارضته - فأخلى القصر الذي كان يشغله ، وذهب القوم فوضعوا في القصور حراسا من سواد الجيش للمحافظة عليها .

١٩٥ - وكان دوج البندقية ، بعدما فرغ من خطابه قد اقترح على البارونات القيام باختيار نقيبائه العشرة ، واعلن انه سييادر بدوره الى تسمية نقيبائه العشرة ، وبعدها سمع البارونات اقتراح الدوج اراد كل واحد منهم ان يكون النقيب من رجاله ، فهذا ما اراده كونت فلاندرز ، وكذلك استهدفه كونت لويس ، وكونت سانت بول وغيرهم من اعيان البارونات ، وهكذا لم يمكنهم ابدا الاتفاق على تسمية النقيب واختيارهم .

١٩٦ - ولهذا اتفقوا على تأجيل الموضوع الى يوم اخر ، ومع هذا اخفقوا في التوصل الى اجماع حول اختيار هؤلاء العشرة ، ذلك ان الماركيز كان يوما يريد تسمية من كان يظن انهم لا بد ان يختاروه امبراطورا ، فقد اراد ان يكون الامبراطور المقبل مهما كلف الامر .

١٩٧ - واستمر الخلاف مدة اسبوعين دون ان يتمكنوا من الوصول الى اي اتفاق فيما بينهم ، ولم يكن ليمر يوم الا ويجتمعون للتداول حول هذا الموضوع ، الى ان اتفقوا اخيرا على ان يكون النقيب العشرة من بين رجال الاكليروس في الحملة ومن الاساقفة ورعاة الدير .

١٩٨ - وبعدها اتفق البارونات على هذا الترتيب قام دوج البندقية باختيار رجاله العشرة وفق الطريقة التالية : استدعى اليه اربعة ممن اعتقدوا انهم اعظم رجال بلده كفاءة وجعلهم يقسمون على الاثار المقدسة انهم سسيولون اختيار عشرة نقيباء يعتقدون اعتقادا جازما انهم افضل من في الحملة من ابناء مدينتهم ، فنفذوا ما طلبه منهم ، وكانوا اذا مانادوا واحدا من رجالهم تقدم ، وتوقف عن الكلام او التشاور مع احد ، ونقلوه فورا الى احدى الكنائس ، وفعطوا الشيء نفسه مع البقية حتى تم للدوج انتقاء نقيبائه العشرة ، وبعدها صار النقيب جميعا في تلك الكنيسة ، قام البنادقة العشرة والاساقفة بترتيل قداس روح القدس ، والتمسوا منه تسديد خطاهم في سبيل اختيار الرجل الذي يصلح لمنصب الامبراطور .

١٩٩ - وبعد الفراغ من الصلاة اجتمعوا وراحوا يتشاورون ويستعرضون اسماء الرجال واحدا واحدا ، حتى استقر قرارهم جميعا بنادقة واساقفة ورعاة ابيرة على ان يكون الامبراطور هو كونت فلاندرز ، ووافقوا على ذلك دون معارضة احد .

٢٠٠ - وعندما فرغوا من عملية الاختيار ، واوشكت مهمتهم على الانتهاء ، اوكلوا الى اسقف سواسون مهمة الاعلان باسمهم ، وبعد هذا اجتمع رجال الجيش جميعا لسماع قرار النقباء ولمعرفة اسم الذي سيتولى الامبراطورية ، وعندما ساد الهدوء وانصت الجميع ، وخشي غالبيتهم لابل فزعوا من اعلان الماركيز امبراطورا ، وذلك على عكس الذين ايدوه فهؤلاء عاشوا في خوف شديد من تسمية واحد سواه .

٢٠١ - وفيما هم وقوف ينتظرون في هدوء شامل اعلان القرار ، وثب اسقف سواسون واقفا على قدميه واعلن قائلا : « ايها السادة ، لقد وقع اختياركم علينا بالاجماع للقيام بهذا الانتخاب ، وقمنا بالفعل بانتخاب واحد عرفنا نحن انفسنا انه رجل مناسب وكفاء لهذه المرتبة ، وانه وحده الذي بإمكانه تحمل اعباء الحكومة اذا عهدت اليه ، لانه خير من قدر على تنفيذ القانون ، فضلا عن انه من اصل نبيل وسمعة طيبة ، وهاكم اسمه : انه الكونت بلدوين كونت فلاندرز .

وعندما سمع الفرنجة اسمه عمهم السرور وابتهجوا ، ومع هذا وجد من حزن كثيرا ، وشعر بالاحباط وهم انصار الماركيز .

٢٠٢ - واثرا اتمام عملية الانتخاب وتسمية بلدوين امبراطورا ، انطلق به البارونات وقادة الفرنجة الذين فرحوا بانتخابه فرحا شديدا ، وقصدوا قصر بوكليون وهم في اقصى حالات البهجة ، وعندما التأم شمل جميع القادة والبارونات حددوا يوما للتتويج الامبراطور ، ولدى حلول اليوم المقرر امتطى الاساقفة ورعاة

الاديرة والبارونات وزعماء البنادقة وكبار القادة من الفرنجة صهوات جيادهم ، وتوجهوا يؤمون قصر بوكليون ، ومن هناك حملوا الامبراطور الى كنيسة اياصوفيا ، وهناك قابوه جانبا وادخلوه حجرة خاصة حيث خلعوا عنه ملابسه الخارجية ، ثم البسوه حذاء فاخرا لونه ارجواني وقد غطي بالاحجار الكريمة ، ثم البسوه سترة ثمينة جدا لها ازرار ذهبية من الامام والخلف امتدت من الذراعين حتى موضع النطاق ، ثم طرحوا عليه الرداء الامبراطوري ، وهو نوع من العباءة تتدلى الى اعلى الحذاءين ، هذا من الامام ، لكنها طويلة جدا من الخلف يمكنه ان يلفها عند وسطه ثم يلقي طرفها على نراعه اليسرى وكانها سبحة راهب ، وكان هذا الرداء ثمينا ورائعا جدا ، وقد غطي كله بالاحجار الكريمة .

ثم القوا على اكتافه عباءة اخرى ثمينة جدا ، كانت ايضا مغطاة كلها بالاحجار الكريمة ، رسم عليها نسور جميلة ايضا من المجوهرات التي بلغ شدة بريقتها حدا يخيل لرائيها ان العباءة كلها تتقد .

٢٠٣ - وبعدهما البسوه على هذه الشاكلة قابوه الى المذبح ، وكان في تلك الاثناء الكونت لويس يحمل علمه الامبراطوري ، بينما حمل كونت سانت بول سيفه ، وحمل الماركيز تاجه ، وكان هناك اسقفان حملا سلاح الماركيز لحملة التاج ، واسقفان اخران سارا على جانبي الامبراطور .

وكان البارونات جميعا قد ارتدوا اثنى بالديهم من ثياب ، ولم يكن هناك واحد من الفرنجة او البنادقة الا وكان مرتديا ثوبا من السندس او الحرير .

٢٠٤ - ولدى وقوف الامبراطور امام المذبح جثا على ركبتيه ، وهنا خلعوا عنه اولا العباءة ثم فكوا الازرار الذهبية للاسترة من الامام ومن الخلف حتى باتت وسطه الاعلى عريانا ، فمسحوه

بالزيت ، حتى اذا فرغوا من ذلك اليسوه السترة ذات الازرار الذهبية ثانية ، ثم قلدوه رنكة وبعد ذلك شدوا العباءة على كتفيه .

٢٠٥ - وبعدما فرغوا من الباسه ، حمل الاسقفان التاج ووضعاه على المذبح ، ومضى جميع الاساقفة ورسوموا عليه علامة الصليب ، ثم وضعوه على راسه ، وعلقوا على رقبتة جوهرة ثمينة جدا ، لتكون قلادة ، وكان الامبراطور مانويل قد ابتاعها من قبل باثنين وستين الف مارك .

وبعد الفراغ من التتويج اجلس الامبراطور على عرش مرتفع ظل جالسا عليه طوال وقت ترتيل القداس ، وهو ممسك الصولجان باحدى يديه وفي اليد الاخرى كرة ذهبية عليها صليب وكانت الجواهر التي يحملها اثنان من اية نخائر يمكن ملك امتلاكها .

٢٠٦ - وبعد الفراغ من تلاوة القداس جلبوا له فرسا ابيض فامطاه ، ورجع اثر ذلك الى قصر بوكليون ، وهو القصر الامبراطوري ، وهناك اجلسوه على عرش القسطنطينية ، ثم قدموا له الولاء على اعتبار انه الامبراطور ، وانحنى امامه جميع الاغريق الذين كانوا هناك على اعتبار انه الامبراطور المقدس ، ثم مدت الموائد بالقصر ، وجلس الامبراطور والبارونات لتناول الطعام ، وبعد ما فرغوا من تناول الطعام انصرف البارونات جميعا ، وعادوا الى بيوتهم ، اما الامبراطور فقد بقي في قصره .

٢٠٧ - وبعد هذا بأيام اجتمع البارونات ، وقرروا فيما بينهم وجوب توزيع الذخائر المستولى عليها ، ولم يكن قد وزع منها شيء سوى الاواني الفضية العادية مثل الاباريق الفضية التي اعتاد نساء المدينة على حملها معهن الى الحمامات ، فنال كل فارس وخيال وجندي ، بل حتى النساء والاطفال نصيبه منها .

٢٠٨ - واعلن في ذلك اليوم لليوم دي كلاري ، الراهب الذي

سبق لي ان نكرته ، والذي كان عظيما جدا في بابيه ، وقام بكثير من اعمال البطولة الخارقة ، حسبما تحدثنا من قبل ، اعلن انه يريد ان ياخذ نصيبه مثل نصيب احد الفرسان ، واعترض بعضهم على طلبه وقال : ليس من الحكمة ان يكون نصيب الراهب مثل نصيب الفارس ، لكن اليوم اصر على موقفه ، فهو يمتلك فرسا ولديه رعا ، شأنه بذلك شان بقية الفرسان ، ثم لانه قام بكثير من اعمال البطولات الحربية ، لاتقل عن اعمال اي فارس بالجيش ان لم تزد عليها ، وبعد شيء من الجدل قضى كونت سانت بول ان ينال اليوم مثل نصيب فارس ، لانه قام باعمال بطولة وفروسية ارفع مما قام به اي واحد من الفرسان الثلاثمائة ، فهذا ما شهد به كونت سانت بول ، ولهذا هو يستحق ان يكون سهمه مثل سهم اي واحد من الفرسان .

٢٠٩ - وبذلك برهن هذا الراهب وقدم الدليل على ان الرهبان يجب ان تكون حصصهم مثل حصص الفرسان ، وبناء على ذلك جرى توزيع الاواني الفضية العادية كما سبق لي وتحدثت ، اما بقية انواع الغنائم - وكان هناك الكثير منها ، مما يخلب الالباب - فقد بقيت بلا قسمة ، وقد عهد بحراستها الى عامة الجيش ، بقيادة فئة من الناس خيل اليهم انهم امناء في الاشراف عليها .

٢١٠ - وبعد فترة وجيزة بعث الامبراطور في طلب كبار البارونات ووج البندقية ، وكونت لويس وكونت سانت بول واعيان القادة الاخرين ، واعلمهم انه يرغب بالخروج على راس حملة يستولى بها على بعض البلدان ، فاتفقوا على تعيين الذين سيذهبون معه والذين سيبقون في المدينة لحراستها ، وكان هؤلاء ووج البندقية والكونت لويس ومعهما بعض رجالهما .

٢١١ - وكذلك بقي الماركيز ، وكان قد تزوج من ارملة الامبراطور اسحق السالف الذكر ، وهي كانت اخت ملك الهنغار ، وعندما راي الماركيز الامبراطور على نية الخروج والاستيلاء على

البلاد ، جاء اليه وطلب منه اقطاعه مملكة سالونيك ، وهي مملكة تبعد عن القسطنطينية مسافة خمسة عشر يوما ، ولم يستجب الامبراطور ، ورفض تلبية طلبه قائلا : انه ليس من حقه القيام بذلك ، لان بارونات الجيش والبنادقة يمتلكون الشطر الاكبر من هذه المملكة ، ووضح له انها لو كانت ملك يمينه لمنحها له عن طيب خاطر وبكل سرور ، ولكن ليس بإمكانه اقطاعه ما تعود ملكيته لبارونات الجيش والبنادقة .

٢١٢ - وعندما رأى الماركيز ان ليس بإمكانه اقتطاع هذه المملكة غضب غضبا شديدا ، وخرج الامبراطور بعد هذا ، وتوجه الى الناحية التي كان على نية قصدها ، واصطحب معه جميع رجاله ، واستسلمت له جميع القلاع والمدن التي وصل اليها بدون مقاومة وتسلم مفاتيحها وقدمت مواكب الرهبان ورجال الاكليروس وهي في البستها الدينية وقدمت له الولاة ورحبت به ، وسجد له الاغريق على اعتبار انه الامبراطور المقدس ، وابقى الامبراطور حاميات في المدن والحصون التي دانت له ، وفي الحقيقة استولى على البلاد التي تمتد الى مسافة خمسة عشر يوما من القسطنطينية، اي انه بات على مسيرة يوم واحد من سالونيك .

٢١٣ - وبينما كان الامبراطور مشغولا بالاستيلاء على البلاد خرج الماركيز من القسطنطينية واصطحب معه زوجته وجميع رجاله ، ووصل حتى اقترب من معسكر الامبراطور قبل توجهه الى سالونيك ، فلقد عسكر على مسافة تقرب من فرسخ منها ، واثرتك انفذ رسلا من قبله الى الامبراطور حملوا اليه رسالة قال فيها : انه يعد ارض سالونيك ارضا له ، هو ملكها ، وعليه ان يعلم علم اليقين انه ان دخلها لن يكون بعد اليوم صديقا له ، ولاطاعة له عليه ابدا ، ولهذا الافضل له ان يعود الى القسطنطينية لينظر الى مافيه فلاحه .

٢١٤ - وعندما سمع البارونات الذين كانوا مع الامبراطور بفحوى الرسالة التي بعث بها الماركيز سخطوا عليه اشد السخط ، وغضبوا وتألوا غاية الالم ، وبعثوا الى الماركيز برسالة جوابية بينوا فيها انهم سيذهبون الى سالونيك بكل تأكيد ، ليس بسبب رسالته ، بل بسبب اخر هو ان البلد ليس بلده .

٢١٥ - وبعدما سمع الماركيز هذا الجواب ، انعطف عائدا ، فاستولى على احدى المدن التي كان الامبراطور قد شحنها بحامية صغيرة ، واستولى عليها غدرا ، وترك بها حامية من قبله ، ثم قصد مدينة ادرنة التي كان الامبراطور قد ترك بها حامية من رجاله ، وحاصرها واعد مجانيقه لقتلها ، لكن اهلها قاوموه .

٢١٦ - وعندما أدرك أنه غير قادر على الاستيلاء عليها بقوة السلاح ، خاطب المدافعين عنها والواقفين على أسوارها قائلا : « مارأيكم ايها السادة ، الاترون ان هذه السيدة كانت زوجة الامبراطور اسحق » وقدم زوجته التي خاطبتهم بقولها : « انظروا الي وتمعنوا جيدا ، الاتعرفون انني الامبراطورة ، ثم لعلكم تذكرون ولدي اللذين انجبتهما من الامبراطور اسحق ؟ ثم عرضت امامهم ولديها ، فرد عليها واحد من عقلاء المدينة بقوله : « نعم نحن نعرف حق المعرفة انك كنت زوجة الامبراطور اسحق ، وان هذين ولداه » فقال الماركيز : حسنا ، فلماذا ان لاتعينون واحدا من هذين الغلامين سيذا عليكم ؟ فرد عليه الرجل : سأبين لك السبيل ، ينبغي عليكم الذهاب الى القسطنطينية ، وتتويجه فيها ، حتى اذا قعد على عرش القسطنطينية ، وعرفنا ذلك ، وقتها نتصرف حسبما يحتم علينا الواجب ان نفعل .

٢١٧ - وفيما الماركيز مشغولا بهذا العمل كان الامبراطور قد ذهب الى سالونيك والقى عليها الحصار ، وكان الجيش يعاني من شح بالخبز ليس لديه مايكفي اكثر من مائة رجل منه ، لكن وجدت وفرة باللحم والنبيذ ، ومهما يك من امر ، لم يطبل حصار

الإمبراطور للمدينة ، اذ ما لبثت ان استسلمت له ، فتوفر لديه  
ماكان الجيش بحاجة اليه من طعام وشراب ولحوم ، ثم خلف بها  
حامية مناسبة ، وقرر عدم متابعة اعمال توسعه بل أن يعود الى  
القسطنطينية .

٢١٨ - ونزلت بالجيش مصيبة كبيرة حزن لها حزنا عظيما ، فقد  
مات مولاي الكونت بيتر الالمانى ، وكان رجلا طيبا ، وقد وافاه  
اجله وهو على طريق العودة في مدينة اسماها لابلانش ، وهي  
مجاورة لمدينة فيلبه التي ولد فيها الاسكندر ، هذا ومات ايضا في  
هذه الرحلة خمسون فارسا .

٢١٩ - وبينما كان الامبراطور عائدا ، عرف بما قام به الماركيز ،  
بالاستيلاء على احدى مدنه غدرا ومركزته حامية من رجاله فيها ثم  
حصاره لمدينة ادرنة ، وبعدما عرف الامبراطور بهذا ومعه بارونات  
الجيش غضبوا جميعا اشد الغضب وتألوا كثيرا فوجهوا انذارا الى  
الماركيز واتباعه ، انهم سيبيدونهم عن بكرة ابيهم ، ولن يتركوهم  
احياء مالم يرعوا وينضموا اليهم بعدما يثوبوا الى رشدهم .

٢٢٠ - وعندما عرف الماركيز ان الامبراطور هو على طريق  
العودة ، خاف خوفا عظيما واضطرب وتولاه القلق ، وشعر بمغبة  
مااقترفه ، والتبست عليه الامور ، واقدم اخيرا على مراسلة دوج  
البندقية والكونت لويس وبقية البارونات الذين مكثوا في البندقية ،  
يخبرهم انه يضع نفسه تحت حمايتهم ، وانه على استعداد  
- بوساطتهم - لاصلاح ماحدثه من اضرار ، فهذه كانت  
الوسيلة المجدية امامه .

٢٢١ - وبعدما سمع الدوج والبارونات في القسطنطينية ، ان  
الماركيز يريد جادا اصلاح ذات البين بينه وبين الامبراطور  
بوساطتهم ، بعثوا اربعة من الرسل الى الامبراطور ، واعلموه ان

الماركيز قد التجأ اليهم راغبا بوساطتهم ، وتمنوا عليه الا يلحق به او برجاله اية اضرار .

٢٢٢ - وعندما اطلع بارونات الجيش وفرسانه على محتوى هذه الرسالة ، اجابوا أن مامن احد يمكنه الحيلولة بينهم وبين الحاق السوء بالماركيز وفضح ما قام به هو ورجاله ، والفتك بهم إذا أتحت لهم الفرصة ، ولم يقبلوا بمهادنة الماركيز إلا بعد وقت ووساطات صعبة .

٢٢٣ - ثم عاد البارونات إلى الرسل فسألوهم عن الأحوال في القسطنطينية وعن أحداثها ، فأعلموهم أن كل شيء فيها يسير على مايرام ، وأخبروهم أيضا أنهم قد تقاسموا المدينة وما بقي فيها من ذخائر ، وهنا انبرى نحوهم الفرسان وقرءاء أفراد الجيش قائلين : كيف فعلتم ذلك ، ومن الذي سمح لكم بتوزيع غنائمنا التي قاسينا حتى حصلنا عليها ؟ فقد تحملنا المتاعب التي لاحصر لها وشققينا كثيرا ، وبردنا وعطشنا وكابدنا من الحر والقر ، لقد استوليتم على حصصنا ، لقد غدرتم بنا وختنونا ، لاشك أنكم خونة ، وانذفع بعض القوم نحوهم وكلهم رغبة بالفتك بهم .

٢٢٤ - وأخيرا تداول الأباطور مع قادة الجيش حول هذه المسألة ، وتناقشوا معهم وحاولوا إصلاح ذات البين بقدر المستطاع ، ثم عاد الجميع أدراجهم إلى القسطنطينية ، حتى إذا حلوا بها ، لم يتمكن أي واحد منهم النزول ببيته ، فقد انتزعت هذه البيوت منهم أثناء غيابهم لأن المدينة أعيد تقسيمها ، واتخذ أخوانهم منازل لهم في أماكن جديدة ، وهكذا توجب عليهم إيجاد بيوت جديدة لهم في أماكن نائية بعد فرسخ أو فرسخين من الأماكن التي سكنوها قبل سفرهم .

٢٢٥ - وفاتني أن أقص عليكم خبر المحنة التي تعرض لها مولاي اللورد بطرس دي براشو ، فقد حدث أنه عندما كان

الامبراطور هنري في إحدى حملاته ، أغار يوحنا الوالاشي والكومان على الأراضي الامبراطورية ، وعسكروا على مسافة فرسخين أو أقل من معسكر الامبراطور ، وكانوا قد سمعوا الكثير عن مولاي بطرس دي براشو وعن فروسيته وقوته ، فبعثوا إليه في أحد الأيام رسالة مع مجموعة من الرسل استزاروه فيها فقد أعلموه أن لديهم رغبة جامحة في التعرف إليه ومحادثته لبعض الوقت ، وأعطوه عهدا بالامان ، وأجابهم مولاي اللورد بأنه يرحب بالالتقاء بهم في معسكرهم ومحادثتهم إن هم منحوه الامان على حياته .

٢٢٦ - وبناء عليه بعث الوالاشيون والكومان رهائن معتبرة إلى معسكر الامبراطور لضمان سلامة عودة مولاي اللورد بطرس ، وامطى اللورد بطرس جوادا مطهما ، وانطلق وفي صحبته ثلاثة فرسان ، ولدى نفيه من معسكر الوالاشيون عرف يوحنا الوالاشي بخبر قدومه فخف للترحيب به وسار معه عند من كبار رجالات والاشيا ، وقد استقبلوه بحفاوة كبيرة ، وراحوا ينظرون اليه بتمعن ، فقد كان طويلا مشوق القامة ، ثم اخذوا يتبادلون معه اطراف الحديث حول مختلف الامور حتى قالوا له في نهاية المطاف : ايها اللورد اننا معجبون بفروسيتك ايما اعجاب ، غير اننا نتساءل كثيرا عن الذي دفعكم الى القدوم الى هذه البلاد وغزوها مع انكم من بلاد بعيدة ، فهل ياترى ضاقت بكم ارضكم في بلادكم ولم تعد قادرة على استيعابكم وتأمين سبل العيش لكم ؟

٢٢٧ - فأجابهم مولاي اللورد بطرس : كيف تتساءلون عن هذا ، او لم تسمعوا عن الاستيلاء على طروادة العظيمة ، والحيلة التي اعتمدها للاستيلاء عليها ؟ فأجابه الوالاشيون : نعم سمعنا بذلك ، ولكن هذا حدث منذ زمن بعيد ! فقال بطرس : لا بأس ، لقد كانت طروادة ملكا لاجدادنا ، وكانوا الذين نجوا منها قد مضوا الى بلادنا حيث نعيش ، ومن هذه البلاد قدمنا الان لنسترد ملك اجدادنا ، وبعد هذا استأننهم بالانصراف وعاد الى المعسكر .

٢٢٨ - وعاد الامبراطور الى القسطنطينية ومعه البارونات ،  
وذلك بعد السيطرة على بلاد واسعة فيها قرابة ستين مدينة مع عدد  
كبير من القلاع والقرى ، وبعد العودة شرع القوم في تقسيم  
القسطنطينية ، فاخص الامبراطور بربع منها ثم تم تقسيم الثلاثة  
ارباع المتبقية مناصفة بين الحجاج والبنادقة .

٢٢٩ - ثم استقر الرأي على تقسيم البلاد التي تم الاستيلاء  
عليها ، فنال كبار البارونات حصصهم اولا ، ثم تلاهم كبار القادة  
وهكذا ، ونال النصيب الاكبر من الارض اكبرهم ثروة ، فارفعهم  
مكانة ، واكثرهم اتباعا في الجيش ، وهكذا كانت حصة بعضهم  
اقطاع مائتي فارس ، وبعضهم الاخر مائة ، وفئة ثالثة سبعين ،  
فستين فاربعين فعشرين فعشرة اقطاعات ، ونال بعض نوي  
المراتب الدنيا سبعة اقطاعات او ستة ، وساوت قيمة الاقطاع  
الواحد ثلاثمائة دينار من بنانير انجو ، وقيل اثناء التوزيع لكل  
واحد من اصحاب المراتب : انت قد خصصت بكذا وكذا من  
الاقطاعات وانت سهمك كذا وكذا ، وستوزع انت الاقطاعات على  
رجالك وعلى غيرهم ممن يرغب في استقطاعها منك ، واما انت  
فستملك هذه المدينة وانت تلك المدينة ، وانت تلك ، وكذلك البلدان  
التابعة لها .

وبعد ما عرف كل واحد من البارونات والقادة نصيبه ، انطلق كل  
منهم نحو مآل اليه لتفقد اراضيه ومدنه ومشاهدتها ، وكل اقام  
نوابه وقواته حتى اقتضى الحال .

٢٣٠ - وصدق في احد الايام ان مولاي اللورد ثيري اخو  
الكونت دي لوس كان مسافرا لتفقد ارضه ، فالتقى صدفة ، في  
احدى المرات بمرزوفلوس الخائن ، ولايري الى اين كان متوجها ،  
وكان في موكبه عدد كبير من السيدات والفتيات وسواهن وكان  
راكبا في ابهة كبيرة وفخامة عظيمة وكأنه احد الاباطرة محاط  
بحاشية كبيرة من الاتباع ، فما كان من مولاي اللورد ثيري الا ان

قصد نحوه ، ونجح في اعتقاله بالقوة ، وعندما بات أسيره حمله الى القسطنطينية ، وسلمه الى الامبراطور بلديون الذي بأمر فامر بالقائه بالسجن وتشديد الحراسة عليه .

٢٣١ - وبعد ما القي مرزوفلوس بالسجن بعث الامبراطور بلديون بطلب جميع البارونات واعيان الناس الذين كانوا في القسطنطينية ، للقدوم الى القصر والاجتماع به ، وفي احد الايام جاءه دوح البندقية والكونت لويس ، وكونت سانت بول وسواهم ، وعندما مثلوا بحضرته حدثهم الامبراطور عن مرزوفلوس ووصف لهم كيف تم القاء القبض عليه ، وانه الان موجود في سجنه ، وسألهم ماذا يرون بشأن تقرير مصيره ، فاشار بعضهم بشنقه ، و اشار اخرون بسحله في الطرقات ، ثم تكلم دوح البندقية وقال : ان مرزوفلوس اعظم من ان يموت شنقا ، ولا بد ان يتناسب قرار الاعدام مع مكانة الرجل ، وبناء عليه اقترح عليكم ان يكون اعدامه وفق مايلي : في المدينة صومعتان عاليتان يبلغ ارتفاع كل منهن ثلاثمائة قدم او ثلاثمائة وستين ، وماعلينا الا ان نحمله الى قمة احداهن ومن ثم نقذفه الى الارض .

٢٣٢ - وكنت قد حدثتك من قبل عن هاتين الصومعتين ، حيث اعتاد الرهبان الذسك الاقامة على قمتيهما ، وانه قد كتب على جدرانها احداث القسطنطينية .

ووافق البارونات على اقتراح الدوح ، وحملوا مرزوفلوس الى واحدة من الصومعتين ، وارغموه على تسلقها بوساطة السلم الذي بداخلها ، حتى اذا وصل الى القمة قذفوا به نحو الارض فتحطم كليا ، وبهذه الصورة جرى الانتقام من مرزوفلوس الخائن .

٢٣٣ - وبعدما تم توزيع الاقطاعات حسبما حدثتك ، اخذوا يعملون على اصلاح ذات البين بين الامبراطور والماركيز ، واحلال السلام بينهما ، وقد اشتد لوم بعضهم للامبراطور لعدم دعوته كبار

البارونات لمساعدته في حل المشكلة التي تفجرت بينهما ، ومجددا طلب الماركيز مملكه سالونيك ، فمنحه الامبراطور اياها ، وبعد مانالها مضى اليها واصطحب معه زوجته وجميع رجاله ، وتسلمها من حاميتها وصار ملكا عليها .

٢٢٤ - ثم طلب مولاي الكونت هنري - اخو الامبراطور - لنفسه مملكة اندرميت ، الواقعة وراء مضيق البوسفور ، وذلك في حال تمكنه من الاستيلاء عليها ، فاستجاب الامبراطور لطلبه وبناء عليه قصدها مولاي الكونت هنري ومعه جميع رجاله ، وتمكن من الاستيلاء على جزء كبير من تلك المنطقة .

ثم طلب مولاي الكونت لويس مملكة لنفسه ، فاستجيب لطلبه ، وكذلك فعل مولاي كونت سانت بول .

٢٢٥ - وبعد هذا طلب مولاي الكونت بطرس دي براشو اقطاعه مملكة كانت اراضيها في ايدي المسلمين ، ووقعت قرب قونية ، وذلك في حال تمكنه من الاستيلاء عليها ، فاجيب مطلبه ، وهكذا توجه اليها ومعه جميع رجاله واستولى عليها واصبح ملكا عليها .

٢٢٦ - وهكذا طلب اغنياء البارونات وكبار القادة - اسوة بغيرهم - ممالك لانفسهم من الاراضي التي لم يكن قد تم الاستيلاء عليها بعد ، واستولى دوج البندقية والبنادقة على جزر كريت وكورفو وميون وذلك بالاضافة الى مارغبوا بحيازته وتملكه ، ثم مالبث ان اصيب الجيش بفاجعة وخسارة كبيرة جدا وذلك بموت كونت سانت بول .

٢٢٧ - وبعد امد تمررت مدينة ايرنة على الامبراطور ، وكانت ايرنة احدى المدن التي استولى عليها الامبراطور ، وبعدما وقف على اخبار تمردها راسل دوج البندقية وطلب منه ومن كونت لويس وبقية البارونات تقديم العون له في استردادها ، واعلمهم انه عازم

على الزحف ضدها ومحاصرتها ، ورد عليه البارونات بالايجاب وابدوا استعدادهم عن طيب خاطر لمساعدته ، وهكذا تاهب هو وهم ومن ثم زحفوا ضدها ، وعندما وصلوا اليها القوا عليها الحصار ، وفيما هم معسكرون امامها اذا بهم يفاجئون في احد الايام برؤية يوحنا الوالاشي والكومان في جيش جرار ، قد زحفوا باتجاه القسطنطينية مثلما كانوا قد فعلوا من قبل ، وقد وجد هؤلاء الامبراطور وجيشه معسكرين امام البرنة .

٢٣٨ - وعندما رأى رجال الجيش الكومان وقد تدثروا بجلود مواشيهم - لم يعبأوا بهم واستخفوا بهم ، ولم يخافوا منهم ، ولم يقيموا لهم اعتبار اكبر مما يعطى لفرقة من الصبيان غير أن الذي حدث هو ان هؤلاء الكومان ، أو بالحري هذا القطيع ، انقضوا بسرعة خاطفة على الفرنجة ، فقتلوا عددا كبيرا منهم وهزمهم جميعا في هذه المعركة ، وفي تلك الاثناء بحث القوم عن الامبراطور فلم يقفوا له على اثر ، ولم يعرف احد المصير الذي آل اليه ، كما وفقد ايضا الكونت لويس وكثيرون غيره من اعيان الرجال ومعهم حشد كبير لانعرف عدده ، علما ان عدد الفرسان الذين هلكوا كان ثلاثمائة .

٢٣٩ - وفر الذين نجوا من القتل الى القسطنطينية ، وفر ايضا دوج البندقية وفر معه كثيرون تخلوا عن معسكرهم واسلحتهم ، وتركوها كما هي امام المدينة ، لانهم لم يتجرأوا على الفرار عبر الطريق المار امام المدينة .

وكان عدد الذين هلكوا كبيرا ، وهكذا انتقم الرب من البارونات والقادة لسوء نواياهم ولتجبرهم ، وللمعاملة الخيانية التي عاملوا بها فقراء الجيش ، وللآثام المدمرة التي اقترفوها في المدينة بعد الاستيلاء عليها .

٢٤٠ - وبعدها فقد الامبراطور في هذه المعركة ، استولى

اليأس على البارونات ثم انهم اجتمعوا بعد ذلك في احد الايام وتشاوروا حول اختيار امبراطور جديد ، ثم بعثوا خلف مولاي الكونت هنري اخي الامبراطور ، لتنصيبه امبراطورا خليفة لاخيه ، وكان الكونت هنري موجودا في ارضه التي استولى عليها فيما وراء مضيق البوسفور .

٢٤١ - وحين اطلع بوج البندقية ومن معه من البنادقة على رغبة البارونات بتتويج مولاي الكونت هنري امبراطورا ، تحفظوا تجاه العملية ، ولم يعلنوا عن موافقتهم حتى شري رضاهم فحصلوا على ايقونة رفيعة لمولاتنا العذراء ، وكانت هذه الايقونة ثمينة وفوق كل تقدير ، وكانت كلها محلاة بالجواهر الثمينة ، ويقول الاغريق انها اول ايقونة صنعت لمولاتنا ، وكان لهم اعتقاد هائل بقداستها ، ولذلك كانوا لا يعلون بها شيئا مهما كان ، واعتادوا على اخراجها والسير بها في موكب كل يوم احد من كل اسبوع ، فكانوا يتعبدونها ويقدمون اليها المنح الغالية .

٢٤٢ - انن لم يوافق البنادقة على تتويج مولاي الكونت هنري امبراطورا الا اذا نالوا هذه الايقونة ، ورضخ القوم واعطوهم اياها ، وهكذا امكن تتويج مولاي الكونت هنري امبراطورا ، وبعد هذا تذاكر هو والماركيز ملك سالونيك واتفقا على ان يزوجه الماركيز ابنته ، وبالفعل تزوج منها ، غير ان هذه الامبراطورة لم تعمر طويلا ، بل توفيت بعد امد قصير .

٢٤٣ - وعات يوحنا الوالاشي واصحابه الكومان فسادا في اراضي مملكة سالونيك التي كانت تابعة للماركيز ، وحاول الماركيز التصدي لهم وحاربهم ، فقتل في المعركة وهزم رجاله ، ومن ثم زحف الكومان ومعهم يوحنا الوالاشي ضد سالونيك وحاولوا الاستيلاء عليها ، ونصبوا الاتهم ضدها ، لكن ارملة الماركيز تولت الدفاع عن المدينة ومعها الفرسان وبقية الناس .

٢٤٤ - وكان في هذه المدينة جثمان مولاي القديس ليمتري ، وكان حاميا للمدينة لم يسمح قط بالاستيلاء عليها قسرا ، وهكذا طفع جسده بكميات كبيرة من الزيت ، وكان ذلك معجزة كبرى ، ثم انه فيما كان يوحنا الوالاشي نائما ذات صباح في خيمته جاء القديس ليمتري وطعنه في جسمه بحربة فقتله ، وعندما علم اتباعه والكومان بخبر مقتله قوضوا خيمهم وازالوا معسكرهم وكروا راجعين الى بلادهم ، والت الملكة بعده الى ابن اخيه واسمه بوريس ، فجرى تتويجه ملكا على والاشيا ، وكان لهذا الملك ابنة جميلة .

٢٤٥ - ولقد كان الامبراطور هنري امبراطورا صالحا طيبا ، لهذا شرع بالتشاور مع البارونات حول افضل السبل للتعامل مع والاشيين والكومان ، فقد ثابروا على شن الغارات على امبراطورية القسطنطينية ، فضلا عن انهم هم الذين قتلوا اخاه الامبراطور بلدوين ، وأشار عليه البارونات ان يرسل بوريس ملك والاشيا الجديد ، ويخطب اليه ابنته للزواج منها ، ورفض الامبراطور هذا الاقتراح ، وبين انه لن يتزوج من فتاة لها مثل هذا الاصل الوضع ، وتمسك البارونات باقتراحهم وقالوا : المصلحة تقضي ان تقوم بهذا يامولانا ، واننا نلح عليك ان تعقد السلم معهم فهم اقوى الشعوب واعنف اعداء الامبراطور وبلادها .

٢٤٦ - وطالت المداولات والمناقشات مع البارونات حول هذا الموضوع ، واخيرا استجاب الامبراطور وبعث بفارسين من اعيان رجالته الى والاشيين بعدما البسهما افخم الثياب ، وعندما وصلوا الى هناك اراد القوم الفتك بهما ، غير انهما تمكنا من الاجتماع بالملك بوريس ، وتحدثا اليه ، فاستجاب واخبرهما انه سيرسل ابنته الى الامبراطور بكل سرور .

٢٤٧ - ثم جهز الملك بوريس ابنته افضل جهاز ، وزودها بأجمل الملابس ، وانفذ معها حاشية كبيرة ، ثم بعث بها الى الامبراطور ، وامر ان يسير بركابها ستين فرسا حملت بالكنوز

الفاخرة من الذهب والفضة والحريير والجواهر الثمينة ، وجلل كل واحد من الخيول بالسندس الأرجواني الطويل الذي ينسحب مسافة سبعة اقدام او ثمانية وراه ، ولم يحدث قط ان سارت الخيول في طرق موحلة وصعبة كالتي ساروا عليها نحو القسطنطينية ، ومع ذلك لم يتمزق اي ثوب من ثياب السندس ، بل وصلت كلها رائحة وبهية .

٢٤٨ - وعندما علم الامبراطور ان العروس باتت على مشارف القسطنطينية خرج لاستقبالها ومعه البارونات ، وقد رحبوا بها وبمن قدم معها اجمل ترحيب ، ثم تزوج الامبراطور منها .

وبعد امد قصير تسلم الامبراطور دعوة للسفر الى سالونيك للقيام بتتويج ابن الماركيز ملكا عليها ، واستجاب للدعوة وذهب الى سالونيك ، لكن بعدما فرغ من اعمال التتويج نزل به المرض ، فمات هناك مما احدث خسارة فاسحة جدا ، واثار حزنا كبيرا

٢٤٩ - لقد اسمعتكم الصديق حول كل ماتعلق بالاستيلاء على القسطنطينية ، وحول اختيار بلويين كونت فلاندرز امبراطورا لها ، ثم تتويجه عليها ، ومن بعده اخوه مولاي هنري .

ولقد شهد ذلك كله ، وسمع بكل ماجرى ، الفارس روبرت دي كلاري ، فهو كان حاضرا انذاك ، وقد املى الصديق حول الاستيلاء عليها .

٢٥٠ - ومع ان روبرت لم يتفنن في رواية احداث هذا الاستيلاء ، مثلما يفعل الراوي البار ، غير انه تمسك بقول الصديق ولم يحد عن ذلك ابدا ، علما ان هناك كثيرا من التفاصيل والوقائع التي غابت عن ذهنه ولم يعد يتذكرها جميعا .

obeykandi.com

تاريخ الثورة  
الصليبيون كغزاة

obeykandi.com



## مدخل

### مختصر تاريخي

في صباح ١٢ نيسان ١٢٠٤ وجد فرسان الحملة الصليبية الرابعة أنفسهم وقد استولوا على مدينة القسطنطينية للمرة الثانية خلال عام انحنت هذه الدرة العظمى للنصرانية لفزاتها الأول ، ولثلاثة أيام نهبت المدينة دون رحمة ، ولكن في يوم أحد عيد الفصح ٢٥ نيسان تمت استعادة بعض مظاهر النظام ، وحتى بينما كان صدى الأناشيد الدينية المهيبة ما يزال يخلق فوق الكنائس الرومية ، يعلن للجماهير المذهولة نظاما جديدا وكنيسة أعيد توحيدها ، تحول قادة الحملة الصليبية الى المشكلة المعقدة ، مشكلة تنظيم امبراطوريتهم الجديدة.

ففي آذار كان قد اجتمع قادة الحملة الصليبية: بونيفيس ماركيز مونترات وبلدوين كونت فلاندرز وكونتابلوا وسانت بول مع حلفائهم البنادقة ، لتحديد استراتيجية الهجوم وتقسيم الغنائم. وتقرر أن تعطي الامبراطورية التي تم كسبها مجددا لامبراطور ينتخب من بين مرشحين مقترحين من قبل الصليبيين والبنادقة ، وأن تعطي البيطركية وكل ممتلكاتها للخاسر ، وكان من المقرر أن توزع الأسلاب بالعدل حسب المفزلة ، وأن ريع الامبراطورية يعطي للامبراطور ، وان تقسم البقية بالتساوي بين البنادقة والصليبيين ، وإن تعين الاقطاعات : نصف من الأراضي التي سلف أخذها ونصف من الأراضي التي سيتم الاستيلاء عليها. وقدمت هذه المعاهدة للبايا أنوسنت الثالث للموافقة ، وقد وافق عليها وقبل شروطها على مريض.

وحالما اجتمعت اللجنة لانتخاب الامبراطور ظهرت الشرنمة

والأهواء المتضاربة التي سببت النزاع بين جيوش الحملات الأولى ، وبعد جدال نشط ، انتخب بلدوين كونت فلاندرز امبراطورا لتسكين الحساسيات النائرة ، وللمحافظة على السلام بين الصليبيين ، وكما خطط ، آلت البطركية وكل ممتلكاتها للبنادقة ، الذين عهدوا بها الى أحد ارستقراطيمهم واسمه توماسو موروزيني ، دون أي استشارة للبابا ، الذي شعر برعدة فورية من الخوف ، وفي الاستهلال الأول لها رسخت امبراطورية القسطنطينية اللاتينية في حينه نمط الخلاف ، والطموحات المتنافسة التي كان لها أن تشكل ضعفها الدائم ، ولكن أي نذر كانت سرعان ما ضاعت في الاثارة العامة عند تقسيم الاكوام المذهلة من الغنائم ° وقد وزعها الامبراطور بالعدل ، ثم قام بمسح دقيق لأراضي الامبراطورية من أجل اجراء توزيع عادل للاقطاعات °

وفي هذه الأثناء تزوج بونيفيس من ماري أخت ملك هنغاريا ، وكانت أرملة شابة للامبراطور البيزنطي المتوفي اسحق انجيلوس وقد طلب من الامبراطور أن يستبدل أراضيه التي لم تكن أخذت بعد في الأناضول بمملكة سالونيك ، سواء لأنه كان يرغب في أن يكون أقرب الى أخي زوجته ، الذي قد يحتاج لمساعدته ، أم لأنه كانت لديه طموحات خاصة في إقامة مملكة البلقان . وكان بلدوين متشككا ولكنه أجرى الاستبدال ، وقسمت بقية الامبراطورية بشكل عادل ، وخصصت الاقطاعات ، وبناء عليه اندفع الجميع للاستيلاء على أراضيهم الجديدة وسار التركيز نحو الغرب مع عدد كبير من الاتباع من أفضل قوات الجيش .

وبالإضافة لاتباعه من جنوب ايطاليا ، اجتذبت منزلته وسمعته في الشجاعة الألمان مثل الكونت بيرتولد كانزينولبورغن والبورغانديين مثل غوليوم دي شامبلت ، وأثون دي لاروش ، والبروفدساليين ، وحتى من الفلمنك ، والفرنسيين مثل جاك دي أفنس ، وتوماس دي اوترمنكورت ، وإضافة لذلك كان له اتباع من الروم البيزنطيين بينهم ابن عم للبيت البيزنطي المالك القديم ، ميكائيل كومينوس

لوكاس ويبدو أن التركيز كان معجبا تماما به ويضع فيه ثقة عظيمة ، ولكن بأسرع ما أمكنه فر ميكائيل وشق مع أخيه ثيووروس طريقه الى ابيروس حيث نظم الاغريق المحليين والألبان والFLASH مركزا للمقاومة الاغريقية في الغرب .

ووصل التركيز الى سالونيك بلا أي متاعب ، وفي الواقع لقي تحية وترحيب وفرح في كل مكان من قبل الاغريق ، وقد ترك زوجته تتولى الدفاع عن المدينة وأخذ معه ابنا من زواجها السابق الامير الشاب مانويل وبدأ رحلة متنصرة نحو الجنوب ، وهو يبرز الشباب في كل مكان ، وجرت له تحية حماسية في مقدونية ، وتيسلي ، كبطل عائد تقريبا وقد بايعته مدن فيل أوف تامب ، ولاريسا ومدن أخرى ، ولم يلق مقاومة حتى بلغ تيرموبيلي ، ويكمن تفسير هذا التنقل الرائع لحقيقة أنه حتى قبل أن تسقط الحكومة البيزنطية في أيدي اللاتين كانت قد فقدت الى حد كبير سيطرتها على اليونان ، وقد استولى الأمراء الصغار ، والقراصنة ، والحكام المحليون ، وبعض العائلات الاقطاعية الكبيرة على البلاد واحتجزوها لأنفسهم وسحقوا أهل المدن والمزارع تحت عبء لا يطاق من الابتزاز ، وكان سقوط المدينة الاشارة لتدافع مجنون بين هؤلاء القادة الصغار ، ولا عجب أنه لم تكن هناك ارادة لمقاومة غاز آخر ، وفي الواقع أن أهل الأرض رأوا في اللاتين تحولا ممكنا للأفضل ، وكان أحد القادة الطففة الصغار الذين استولوا على السلطة اسمه ليون سفوروس ، وكانت ممتلكاته الاساسية حول مدينة نوبليا ولكنه توسع في اتجاه الشمال حتى أرغوس وكورنث فيما وراء اثينا حيث أبدى المطران ميكائيل كونياتيس مقاومة عنيدة جدا حتى طيبه ولاريسا ، ومع تقدم بونيفيس انسحب ليون الى الجبال حول تيرموبيلي ليسد المدخل الى وسط اليونان ، وعندما انهارت معنوياته هرب الى كورنث ليحتمي المدخل الى البلوبونيز. أما التركيز الذي تتبعه بروية فقد لقي ترحيبا من طيبه وبوويتيا ، ولم تكن اثينا كريمة جدا ولكنها لم تبد مقاومة ، وسقطت يوبيا نون ضربة واحدة ، وفي النهاية وصل الى كورنث وحاضر سفوروس في

معقل اكروكورنث ، حيث بنى قلعة صغيرة تدعى مونت اسكوفيه للتحكم في العملية ، وبترك جاك دي أفنس مسؤولاً عنها تقدم عندئذ جنوباً واحكم الحصار على نوبليا ، وكان حدث في هذا الوقت أن تلقى زيارة غير متوقعة كان لها أن تقرر تاريخ اليونان للقرنين التاليين.

وذهب جيوفري دي فيلهاردين ، ابن أخي مارشال شامبين ومؤرخ هذه الحملة الصليبية مباشرة الى سورية ولم يشترك في الهجوم على القسطنطينية ، ومثل الآخرين ممن فعلوا الشيء نفسه ، حالاً سمع بتأسيس الامبراطورية اللاتينية أبحر الى القسطنطينية ، أملاً أن يجد حظه. ودفعت الرياح المضادة بسفينته نحو الغرب وكان عليه أن يجد ملجأ في ميناء مودون وفي جنوب البلبونيز حيث تم الاتصال به وبرفاقه من قبل حاكم محلي اغريقي رغب في استخدام هذه القوة غير المتوقعة في توسيع اراضيه وأدت الفائدة المأمولة بجيوفري الى الانضمام الى الاغريقي ، حيث غزوا معاً كل غرب البلبونيز حتى باتراس في الشمال ، ويجب ملاحظة أن تلك الأراضي كانت قد خصصت من قبل للبندقية ، وعند هذه المرحلة توفي الاغريقي ، واغلق ابنه - القليل الثقة باللاتين - كل المدن في وجوههم وحرّض الاغريق ضدهم ، وإذا وجد نفسه في أراضي معادية ، ولسماعه بوصول بونيفيس الى البلبونيز ركب جيوفري في مخاطرة عظيمة عبر شبه الجزيرة الى نوبليا لالتماس المعونة وسرّ المركز برؤيته ودعا لينضم الى جيشه ، ولكن جيوفري وجد صديقا قديماً ، هوغوليوم دي شامبلت في الجيش فاقنعه بالحاح بالعودة الى الغرب لغزو المورة ووعد بان يكون الرجل التابع له في أي أرض قد يخصصها غوليوم له.

وبناء عليه ، وبينما كان جاك دي أفنس في كورنث والمركز في نوبليا ، بدأ الرفيقان مع نحو من مائتي فارس وأربعمائة من المشاة مغامرة مدهشة في غرب البلبونيز وبدون أي أزعاج استولوا على إقليم بعد إقليم ومدينة بعد مدينة ، حتى وجدا نفسيهما في أقصى

الجنوب في مودون ، فحصنا المدينة وشقا طريقهما في المناطق الجبلية لمسينيا ، وأركاديا ، ولاقونيا .

وباختصار سقطت في أيديهما كل شبه الجزيرة تلقائيا وقاما بتقسيم كبير للأرض .

وأوجدا اثنتي عشرة اقطاعية كبيرة ، عينت للبارونات ، وخصص لكل واحد من هؤلاء التابعين ، والفرسان ، والمشاة ، وأعطى لكل منهم اقطاعية . وأعطيت المراتب الدينية : الاستباريه والداوية والاساقفة أراضي ، ومن أجلها كانوا مدينين بالخدمة العسكرية ، ولكن ليس بمهمة الحاميات ، وفي الواقع كانت الأرض كلها على قدم الاستعداد للحرب ، وكان ينتظر من الاتباع أن يؤديوا الخدمة العسكرية على مدار السنة ، أربعة شهور في الميدان ، وأربعة شهور في مهام الحاميات ، وأربعة شهور في بيوتهم تحت الطلب ، حيث أنه لم يكن بمقدور أحد أن يترك الأرض دون أذن ، وحتى أصحاب المقام الرفيع من الاغريق كان لهم مكان في النظام الاقطاعي والذين خضعوا احتفظوا بأراضيهم وكان لهم مثل الفرنجة الحقوق والواجبات نفسها ، وبقيت الترتيبات مع الفلاحين في الأرض دون تغيير ، ولكن في الواقع تحسنت الظروف بالنسبة لهم مع استعادة السلام والنظام وتوقف الابتزاز الساحق لحكام الاغريق وصفاتهم . وضمن اعتدال وتسامح الأمراء الفرنجة الجدد تأييد الاغريق ، مما جعل الاستيلاء أسهل وحقق الرخاء العام ، وحمل الحاكم الجديد للأرض كلقب رسمي له اللقب المميز ، أمير أخيا ، ولكنه شعبيا كان يسمى أمير المورة ، حيث كان لقب أمير غير عادي في العصور الوسطى ، وفريد في الامبراطورية اللاتينية ، وملك الأمير وباروناته أراضيهم بحق الاستيلاء ، ولكن من الناحية الفنية ، طلب غوليوم دي شامبليت الأذن من المركزي دي مونتفترات ليمضي في مغامرته ، ويبدو أن الأذن قد رسخ نوعا من السيادة على المورة .

وكان المركيز في هذه الأثناء يقيم النوع نفسه من النظام في كل اليونان ، فأعطى اثينا لأوثون دي لاروش الذي أخذ لقب دوق اثينا ، ولكن كان الشائع تسميته من قبل الأغريق بالأسيد العظيم ، وأعطيت طيبه في البداية لإيطالي يدعى البرتينو دي كانوسا مع أنها سرعان ما نقلت إلى أوثون ، الذي أضافها إلى إقطاعيته ولقبه ، وذهبت تيرموبيلي إلى نبيل إيطالي آخر هو المركيز غويدو بيلافسينو وأصبحت مركيزية بونونيتزا الشهيرة. وأعطيت الأراضي حول بلفي ، الممتدة إلى خليج كورنث ، إلى توماس دي أوترمنيكورت الذي أسس إمارة سالونا هناك ، وأكمل تخصيص يوبوا أولا لجاك دي أفنس ، ثم لرافان دال كارسييري وهو نبيل من فيرونا وبهذا أكملت الترتيبات بالنسبة لليونان المركزية ، وتسم شمال اليونان مثل ذلك بين الاتباع الكثيرين للمركيز ، مع أن كثيرا من المدن بقيت له كقلاع ملكية ، ومن الغريب أنه لم يأخذ لقب ملك ، وكان يدعى أمير مملكة سالونيك أو ببساطة مركيز مونتفرات.

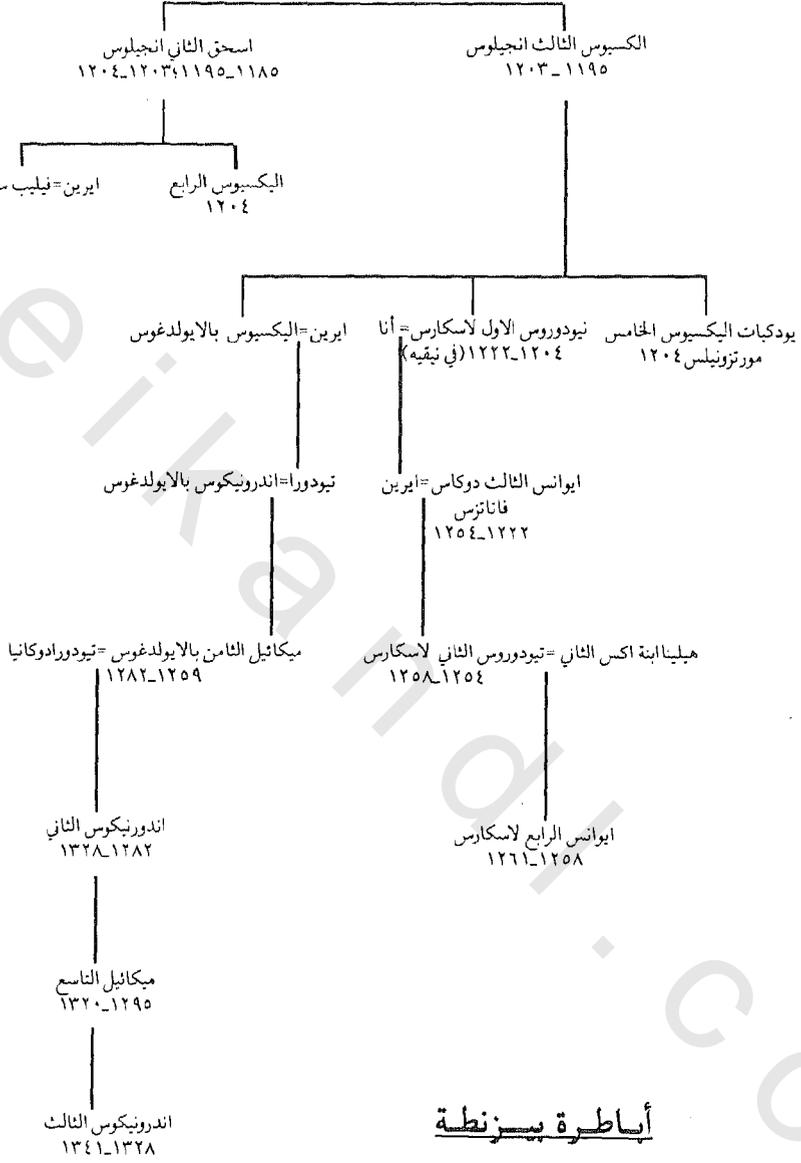
وبينما تم تنظيم القسم الغربي من الامبراطورية ، بدأت البندقية باحتلال النقاط التي اختارتها لنفسها على طول سواحل اليونان وعلى جزر البحر بين الايوني والايجي وأما ما حدث لبلدوين فإنه ما أن توجه في أبهة في كنيسة الحكمة المقدسة ( آيا صوفيا ) حتى قاد حشدا من الصليبيين إلى الاناضول. وكانت مقاومة الامارات الاغريقية الصغيرة في المنطقة قد ذابت أمام التكتيكات المتفوقة والتصميم للفرسان الغربيين. وبدأ مركز رئيسي للمقاومة الرومية على أي حال يتشكل حول تيودور لاسكارس ، وهو صهر الأمبراطور الكسيوس الثالث وبطل الدفاع عن القسطنطينية ، وقد أقيم قرب نيقية وشرع المطارنة الاغريق وأصحاب المقامات الرفيعة في الانضمام إليه هناك .

وما أن قسمت الأرض بين اللاتين حتى قامت مشكلة التنظيم ، ولو أن مثال الفرنجة في المورة في تعاملهم مع الأغريق قد اتبع لساار كل شيء بشكل جيد ، ولكن لسوء الحظ أن الأمبراطور بلدوين قد

أخفق تماما في تطوير سياسة قابلة للتطبيق على رعاياه من الأغريق . وقد أدى تعاليه الطبيعي وترفعه به إلى رفض كل عروض المساعدة من نبلاء الأغريق ، وإلى رفض إشراكهم في البيئة الاقطاعية اللاتينية للدولة . وقد أصبح هؤلاء النبلاء الساخطون نواة المقاومة الاغريقية ، وبحثوا عن المساعدة من المركزين الاغريقيين الحرين في ابيروس ونيقية ، لابل إنهم حتى تطلعوا إلى أعدائهم القدامى البلغار من أجل التحرير .

أما بالنسبة للسواد الأعظم من الناس فقد اتخذوا في البداية موقفا أكثر مودة نحو اللاتين .

ومعهم أبدى بلديون تفهما أكثر ذكاء وسماحة بجعل الأحوال في الأراضي تستمر دون تغيير هام ، ولكن هنا أيضا ثارت روح المقاومة الاغريقية في أعقاب محاولات النظام الجديد فرض اتحاد بين الكنيستين . وكان الأغريق قد حددوا من قبل حرياتهم الفردية والدينية مع طقوس كنيستهم ، ومع أن الأساقفة والمطارنة قد هربوا من مراكزهم في وقت الغزو فإن أعضاء المراتب الدنيا في الأكليروس بقوا ، وحاول اللاتين وضع هؤلاء تحت السيطرة الرومانية ، واعترف البابا بحساسية المشكلة ، وكان الإمبراطور أحيانا يفعل ذلك ، ولكن الأغريق قاوموا بشكل متزايد كل العروض المقترحة . وتمسكوا بكنيستهم بحماس عنيد وتطلعوا بشوق إلى مصادر التحرير نفسها التي اجتذبت زعماءهم . وتفاقت الحالة بسبب نقص البراعة الشخصية والتكتيك من جانب كثير من الصليبيين ولاسيما البنادقة ، الذين أخذوا أذنة كجزء من حصتهم من الامبراطورية وقد قامت هناك ثورة في شباط ١٢١٥ ، وبسرعة سقط معظم تراقية في أيدي المتمردين الأغريق . ومع تقدم الإمبراطور باتجاه الغرب مع جيش ضعيف بشكل قاتل كان مكونا في غالبيته من أتباعه الذين دعوا من أراضيهم في آسيا الصغرى ناشد الاغريق كالوجان قيصر البلغار وطلبوا منه المساعدة .



وكان هذا الزعيم البلغاري قد سعى قبل الحملة الصليبية الرابعة للتخلي عن الولاء للإمبراطور البيزنطي واتجه نحو البابا من أجل المساعدة ، وبعد اتصالات مطولة مع أنوسنت الثالث الذي كان يأمل في اختراق البلقان وفتح طريق جديد إلى سورية من أجل الحركة الصليبية ، تم التوصل إلى اتفاقية في ١٢٠٣ وبنصونها جعل رئيس أساقفة لاتيني ، كبير أساقفة بلغاريا في أيلول ١٢٠٣ وفي شباط ١٢٠٤ اعترف البابا بكالوجان ملكا للبلغار والولش وبروح هذا التفاهم عرض كالوجان خدماته فيما بعد على الصليبيين في غزوهم للإمبراطورية ، ورفضوا عرضه بطريقة متعالية بشكل مميز وقاسية وبمعاملته كتابع ، طالبوه بالبيعة للإمبراطور عن أراضيه ، وفي ثورة الغضب تخلى كالوجان عن صداقته للاتين وأصبح عدوهم الحاقد، وكان هذا الرجل هو الذي جاء الآن لمساعدة الروم مع جيش كبير ضم بين قواته مايزيد عن ١٤٠٠٠ ر ١٤ من المرتزقة الكومان .

والتقى الجيشان قرب أدرنة ، وغلب اللاتين ، وأسر الإمبراطور وتوفي مؤخرا بشكل غامض في السجن . وتسلمت بقايا القوات عائدة نحو العاصمة ، حيث تولى رئاسة الدولة أخو بلديون هنري دي هينوت .

وكان حكم هنري / ١٢٠٦ - ١٢١٦ / حرجا بالنسبة لبقاء الإمبراطورية ، حيث دمرت تراقية كلها بشكل متكرر من قبل البلغار ، وهجر الأناضول أمراؤها اللاتين لتسقط قطعة وراء قطعة في يد لاسكاريس، وكان موقف هنري يائسا ، ففي الشرق تحالف مع الأغريق الذين وطدوا أنفسهم في بافلاغونيا وطرابزون تحت قيادة اثنين من أبناء الإمبراطور السالف أندرونيكوس وحتى مع الأتراك مشكلين قضية مشتركة قلقة ضد العدو المشترك / لاسكاريس / وكان مركزه في الغرب يتحسن نوعا ما بفعل البنادقة ، الذين بدأوا الآن يضطلعون بالسلطة على أراضيهم بجد ، وقد خففوا من مراكز المقاومة بلا هوادة على طول الساحل الأغرريقي ، وتابعوا قتالهم ضد

الأغريق ، والقراصنة ، وشمّلوا شامبلت نفسه في هذه العملية ، وأرسلوا الأساطيل والجيوش إلى الجزر الأيونية ، وحشود من البنادقة لتهدئة كل الجزر الأيحية ، وقدم رافان دال كارسييري البيعة للبندقية عن جزيرته يوبوا ، وتم غزو كريت التي اشترتها البندقية من بونيفيس دي مونتفرات . وفي اليونان شق بارونات المورة ببطء طريقهم في اتجاه الشرق ، وفي الشمال عزز المركزي ممتلكاته بعد الفزوات البلغارية الأساوية ، وهكذا جعل الغرب أكثر استقوارا ومكن المركزي وهنري معاهدة الصداقة بالزواج بين هنري وأغذس ابنة المركزي ، وولدت ماري زوجة المركزي في هذا الوقت وريثا ، وقد أطلق عليه اسم نو دلالة هو : ديميترويس على اسم القديس الراعي لسالونيك وفوق كل شيء عمل هنري على تهدئة رعاياه الأغريق الذين شعروا هم أنفسهم الآن باليد الثقيلة للبلغار وتحولوا إلى إمبراطورهم الجديد طلبا للمساعدة ، وكان مفتاح الحالة المسألة الدينية . وتتابع المفاوضات السعبة الطويلة بين الاكليروس الاغريقي واللاتيني بقيادة المطارنة الاغريق من جنوب إيطاليا الذين قبلوا سيادة البابا الروماني في أراضي المركزي وفي كل أنحاء الامبراطورية . وفي كل مكان كان اللاتين يستخدمون نبرة معتدلة للتهدئة ، ويبدو أنه تحقق تقدم حقيقي ، وكان حجر العثرة على أي حال هو مسألة السيادة الرومانية ، وعلى هذه الصخرة تحطمت كل المفاوضات .

وأصبح كل الأمر أكاديميا بعد آذار / ١٢٠٨ / لأنه في ذلك الوقت عمل لاسكارس على انتخاب بطريك إغريقي في نيقية ، توج على الفور لاسكارس كأمبراطور بيزنطي شرعي .

ونفذ الأغريق جميعا في الامبراطورية اللاتينية على الفور أية أفكار للتسوية والوحدة بين الكنيستين ، ومن حينه فصاعدا تطلعوا إلى نيقية للتحرير وإعادة بطركهم .

وتحركت الأحداث في هذه الأثناء بسرعة ووقع بونيفيس في شراك

البلغار في ١٢٠٧ ، وقتل وفصل رأسه عن جسده الذي كان مايزال حيا ليرسل إلى عنوه كالوجان ، ولكن أيام القيصر كانت معسودة أيضا ، وتوفي أثناء نومه عشية عيد القديس ديميتريوس / ٨ تشرين أول ١٢٠٧ / وحلت الفوضى في مملكة البلغار وقامت حرب أهلية ، وأعيد تنظيمها فيما بعد ببطء تحت حكم جون آشن ، وهكذا بدا أن الأزمة قد انحسرت . وتم طرد لاسكارس وانتهى التهديد البلغاري وقت تهينة الأراضي في العالم الاغريقي . ولكن كانت هناك مشكلات كثيرة ، فقد كان بإمكان رعايا هنري من الاغريق أن يطلقوا العنان لسخطهم ضد الغزاة ، مع أنهم كانوا معجبين دائما بالامبراطور شخصيا لأنه رعاهم ، فأعاد فتح الكنائس الاغريقية ، وكان باروناته وأساقفته يناضلون من أجل المشكلة القيمة جدا للحصانة الاكليروسية ، ووضع نهاية لها بفرض تسوية . وفي مقابل استقلالهم وافق المطارنة على دفع ضريبة الأرض البيزنطية التقليدية للبارونات ، وكانت مشكلة الدفاع هم الأكثر إلحاحا ، وتم جذب فرسان جدد من غرب أوروبا ، ولكنهم لم يكونوا كافين مطلقا ، وفي النهاية كانت هناك توترات في القسم الغربي من الامبراطورية وكان إغريق إيبروس يشكلون تهديدا ، وكان بارونات سالونيك قلقين في عهد ملكهم القاهر ديميتريوس .

ودعا هنري برلمانا في اليونان في رافنكا في ١٢٠٩ لتسوية مشكلته ، وكانت النتيجة سيطرة أشد إحكاما على اليونان ، ولكن السمة الأكثر أهمية هي وصول أمير أثينا في أبهة عظيمة مع أوتون دي لاروش وجيوفري دي فيلهاردين ممثل المورة .

وقد وقع تتابع غريب للاحداث في المورة خلال هذه الفترة ، فقد ترك غوليوم شامبلت ابن أخيه هوغ يتولى أمر المورة وغادر إلى فرنسا في عام ١٢٠٨ ربما ليطلب بميراثه من أخيه لويس ، الذي توفي هناك في ذلك الوقت ، وتوفي هو نفسه أثناء وجوده في فرنسا قاركا وريته ابن أخيه في المورة ، ولكنه توفي هو أيضا بعد فترة قصيرة وبقيت المورقيدون أمير شرعي ، وعند هذه النقطة ظهر

جيوفري دي فيلهاردين الشريك في الغزو الأصلي كأمر للمورة ، ومن الصغب القول فيما اذا كان هذا بسبب ، أن غوليوم قد عبر عن الرغبة في أن يخلفه جيوفري في النهاية ، أو لأن البارونات قد فضلوه على هوغ ، وعلى أي حال ظهر جيوفري في مفاوضاته مع البنادقة ، الذين أعطوا المورة كجزء من حصتهم من التجزئة الأصلية للإمبراطورية ، والذي كان قد بدأ قتالا من أجلها كما رأينا في ١٢٠٦ وأما الحرب البندقية - المورية فقد تم تسويتها في مؤتمر في حزيران ١٢٠٩ .

وفي المفاوضات التي جرت وفي المعاهدة التي أبرمت ، لم يستعمل جيوفري على ما يبدو لقب أمير أخيا . وأول مرة وردت هذه الإشارة إليه جاءت في رسائل من أنوسنت الثالث ، مؤرخة في ٢٢ ، ٢٤ آذار ١٢١٠ ويبدو أنه قد انتظر .

الاجل المعتاد وهو سنة واحدة ويوم واحد وسنتين ويومان ، بدأت من رجيل غوليوم أو من وفاة هوغ قبل المطالبة باللقب. وعلى أي حال بحلول ١٢١٠ كان جيوفري يدعو نفسه أمير أخيا ونائب أمير كل رومانيا ومن هذه النقطة وما بعدها رسخ جذوره في أرض اليونان ، وأرسل الي فرنسا من أجل زوجته وابنه جيوفري وأسكنهما في قصره في كلاماتا ، حيث ولد ابنه الثاني غوليوم اشهر عضو في كل العائلة في ١١٢١.

وكان حكم جيوفري الأول ذو أهمية دائمة للمورة ، وكانت أكرودورنت ماتزال في أيدي ليون سفورس عندما تولى جيوفري السلطة وقد سقطت في يده بعد وفاة سفورس في ١٢٠٨ . وتمت تهدئة الوديان الجبلية لأكونيا وأركاريا ، وتم بناء الحصون للدفاع عن الجبهة وإجمالا كانت الامارة آمنة ، وأرسى جيوفري الأساس لحكومة مستقرة أيضا ، وقد شجع هجرة تيار ثابت من البورغانديين والشامبونييين لزيادة السكان من الفرنجة ، وهناك تطورت في المورة ثقافة كانت شهيرة حتى في فرنسا بسبب صفائها

ورقتها ، وبسبب نقاء تقاليدنا الفرنسية في الفروسية ، وفوق كل شيء كانت الثقافة ازدهارا حقيقيا وغرسا.

وبالتدريج أصبح فرنجة المورة موريين حقيقيين يتكلمون كل من الفرنسية واليونانية ويتبعون كلا من العادات الفرنسية والاغريقية.

وبينما كان جيوفري يبني امارة المورة كان أوثون دي لاروش يفعل الشيء نفسه في دوقية أثينا ، ودفع بالتدريج بحدوده في اتجاه الجنوب لتضم أركوليس وفي اتجاه الشمال حتى تجاوزت طيبة ، مرسيا الاستقرار في الجبهة ومقيما علاقات ودية مع الجيران ، وأقام عاصمته في طيبة ، وأصبح البارثينون على جبل الأكروبوليس في أثينا ، والذي كان لزمان طويل كنيسة مطارنه الأغريق ، كاتدرائية سانت ماري اللاتينية . وأسس أوثون أديرة وأدخل المراتب الغربية في بيوت الرهبنة الاغريقية الاقدم ، والمثال البارز يتجلى في دعوته للرهبان البندكتيين لتولي أمور الدير العظيم في دافني وكان يقع على مسافة بضعة أميال خارج أثينا ، وهناك ديرا منعزلا ورواقا على نمط فرنسي أصيل ، وأنشأ أيضا مجتمعا فرنسيا في أثينا ، كان يتكون في معظمه من أقاربه الكثيرين وأصدقائه الذين شجعهم على المجيء إلى اليونان من أراضيهم البورغاندية ، وهاجرت العائلة إلى اليونان خلال القرن الثالث عشر ، وجاء ابن أخ له يدعى غي على سبيل المثال ومنح جزءا من طيبة من قبل جيوفري دي فيلهارين وكان نيكولاس دي سانت أوامر وأفدا جديدا آخر وصل إلى اليونان بعد ( ١٢٠٨ ) وتوطن هو وعائلته حول طيبة ، وأصبحت لهذه العائلة شهرة أسرة دي لاروش نفسها وتزوجت معها كما تزوجت مع الخط الملكي الهنغاري .

وبينما كان هؤلاء الأمراء الأقرباء يعززون ويدعمون ممتلكاتهم ، كان الامبراطور هنري يحارب خلافات يصعب التغلب عليها .

وضاعت السنوات الأخيرة من حكمه في غموض ، حتى وفاته

المفاجئة في عمر لم يتجاوز التاسعة والثلاثين في ١١ حزيران ١٢١٦ ، وكان قد جهد للحصول على مساعدة من روما وهنغاريا ومن بلغاريا ولكن جهودة كلها اخفقت ، ولم يتترك حتى وريثاً مباشراً من نسلة ليخلفه . وعرض باروناته التاج على بيير دي كورتناي زوج أخت هنري يولاند بأمل أن يحضر جيوشاً معه من فرنسا ، وقبل ولكنه لم ير امبراطوريته أبداً ، لأنه قتل وهو في طريقه نحو الشرق بعد أسره من قبل تيودورس الذي خلف أخاه ميكائيل في أبيروس ، ونهبت امبراطوريته مباشرة بطريق البحر إلى العاصمة ووصلت بسلام، وفي طريقها توقفت في المورة وزوجت ابنها أغنس إلى الابن الأكبر لجيوفري الأول ، جيوفري الثاني المنتظر ، وبعد وصولها إلى القسطنطينية بوقت قصير ولدت ابناً هو امبراطور المستقبل بلودين الثاني . وقيل نهاية السنة تسوفيت ، وكان على البارونات مرة أخرى أن يندثقوا امبراطورا ، وفي هذه المرة اختاروا أكبر أبناء يولاند فيليب مركيز نامور ولكنه أرسل ابنها الأصغر ( روبرت ) بديلا منه ، وهكذا في ١٢٢١ أصبح روبرت الضعيف والمعتهق تقريبا امبراطورا وبعد ذلك بوقت قصير توفي تيودورس كالاسكارس العدو المراوغ وهو في الثامنة والأربعين من عمره في ١٢٢٢ ولكن خلفه صهره لوانس الثالث دوкас فاتاتس الذي بقي عدوا حتى أكثر خطرا لمدة اثنتين وثلاثين سنة والذي به أمكن للامبراطورية اللاتينية أن تنصب فقط أضعف الأباطرة .

لقد فقد الامبراطور الجديد كل أراضي في الأناضول ، وحلت الآن كارثة أسوأ حتى في القرب ، فقد هاجمه تيودور كوفينوس دوкас بمساعدة البلغار والعائلات الاغريقية في الامبراطورية اللاتينية واستولوا على مدينة سالونيك وكل المملكة في ١٢٢٤ ، وسحقت قواته في شمال اليونان ونجت بودونيتزا وامارة أثينا والمورة فقط من الكارثة .

وكان نيمتريوس في ايطاليا يحاول تجنيد بعض القوات في ذلك لوقت وتوفي هناك في النهاية في ١٢٢٧ تاركاً كل حقوقه لفريديريك

الثاني ، وكان نصر ثيودوروس قصير العمر لأنه بدوره أسر بعد ذلك بخمس سنوات من قبل جون أسن ، قيصر البلغار وسملت عيناه وجرّد من كل ممتلكاته. وفي الوقت نفسه عزز جيوفري الأول في المورة ودوق أثينا أراضيها في وجه الخطر المشترك ، وضغط جيوفري على الاكليروس بشدة من أجل التمويل لبناء حصن كبير مونت لحماية سهل ابليس ، حيث أنشأ عاصمته ، وأدى هذا إلى الحرمان من البابا هونوريوس الثالث الذي رفع في ١٢٢٣ ، وبعد ذلك بوقت قصير عاد أوثون دي لاروش إلى فرنسا ، تاركاً ابن أخيه غي يتولى الدوقية وتوفي في ١٢٢٤ وتوفي جيوفري رفيقه القديم بعد رحيله بوقت قصير احتمالاً بين ١٢٢٨ و ١٢٣٠ .

وميزت هذه السنوات نقطة تحول في تاريخ الامبراطورية . وتوفي الغزاة القدامى جميعهم ، وكانت الولايات التي أصبحت الآن قليلة العدد في أيدي رجال أكثر شباباً . وظهرت المورة في اليونان كبؤرة للقوة ، في حين دمر روبرت في القسطنطينية امبراطورية هنري وفقد صلاته بالوقائع السياسية وانسحب إلى قصره مع امرأة فرنسية شابة كان قد تزوجها سرا ، ولم يترك مطلقاً الجناح الذي أسكنها فيه مع أمها ، وبكراهية ومقت اقتحمه البارونات في احدى الليالي وأغرقوا المرأة العجوز وشوهوا الزوجة الشابة بقطع أنفها وشفتيها ، وهرب روبرت في فزع من مملكته ومضى إلى روما ليشكو للبابا غريغوري التاسع وحرص على العودة إلى امبراطوريته ، ولكنه توقف وهو في طريقه في المورة لزيارة أخته أغنيس وهناك وقع فريسة المرض وتوفي في ١٢٢٨ ولم يحزن عليه سوى أخته التي بنت على ما يبدو ديرا في المورة تخليداً لذكراه .

وعرض البارونات في يأسهم التاج على البطل المسن جين دي برين الذي أبحر إلى الشرق مع جيش كبير ووصل إلى القسطنطينية في ١٢٣١ وقد خدع البارونات مع ذلك في أمالهم ، لأن الامبراطور الجديد على الرغم من مساعدة هنغاريا والمورة كان قادراً على

القليل فقط ، وعندما توفي في ١٢٣٧ ، كانت المملكة أسوأ مما كانت على الاطلاق .

وإذا كانت الامبراطورية تعيش في حالة أزمة ، فإن اليونان كانت تتمتع بفترة من الازدهار لا مثيل لها ، وتحت جيوفري الثاني وهو أمير عطوف واندساني الذشأة ، توسعت الامارة في كل الاتجاهات وزال تهديد الاغريق في الشمال لأن أسر تيودورس من قبل جون أسن عجل بحدوث حروب أهلية مشوشة في أبيروس ، وأصبح أمير المورة وقد تلقى بيعة أمراء سفالونيا ناكسوس ويوبوا أقوى قوة في الشرق اللاتيني ، وفي وقت وفاته ، في ١٢٤٦ كانت المورة دولة حضارية غنية قادرة على تمويل الدفاع عن الامبراطورية المنهارة بالمال والأساطيل ، وكانت ما تسمى بدوقية أثينا في الفترة نفسها بالدرجة نفسها من الازدهار ، وحصل غي دي لاروش على أرباح عظيمة من صناعة الحرير في طيبة ، واجتذب إلى عالمه البنادقة وأهل جنوا والتجار الآخرين ، الذين تنافسوا مع بعضهم على شراء المزايا التجارية من الدوق ، وفي هذا الوقت تزوج بيلادي سانت - أومر ابن نيكولاس ذاك الذي استوطن طيبة منذ بضع سنين خلت ، تزوج من بونة أخت غي وأسس أسرة من أقوى الأسر الاغريقية الفرنسية ،

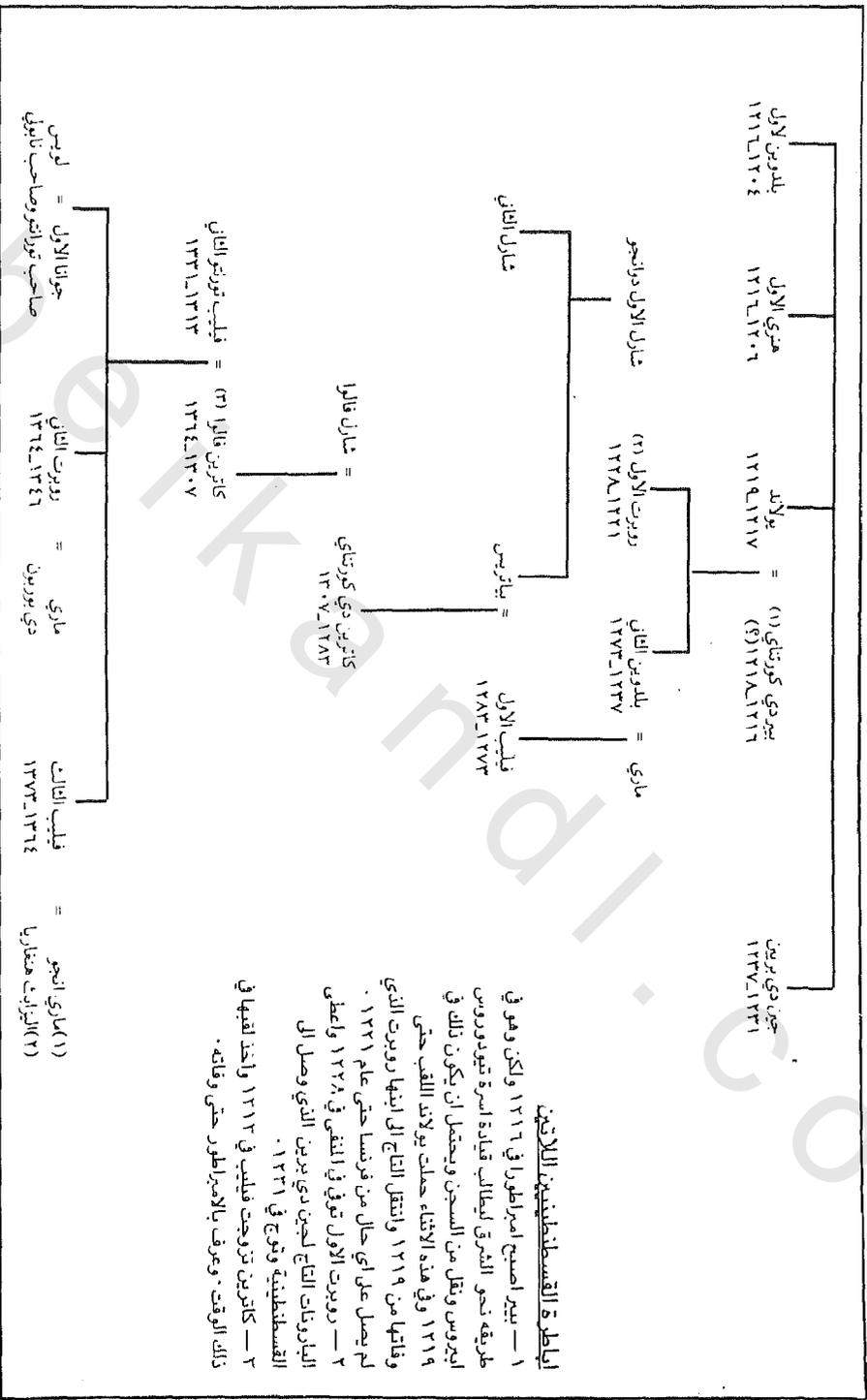
وعندما توفي جين دي برين ، كان الامبراطور الجديد بلدوين فقط في التاسعة عشرة من عمره ، ولأنه ولد في المشرق ، وترعرع في جو بيزنطي ، وتكلم اليونانية ، فانه كان يحتمل أن يكون حاكما جيدا للامبراطورية ولسوء الحظ انه لم يكن ذا نكاه ملحوظ أو مقدر ، علاوة على ذلك ورث حالة يائسة تستعصي على العلاج ، وبدأ حكمه في فرنسا حيث ذهب ليلتمس المال والقوات ، ومضى بهم جيئة وذهابا بين ايطاليا وإقطاعاته الفرنسية لمدة أربع سنوات يستجدي القروض من البابا والملك لويس ، وكان يأمل في ضمانها بارتهاض أراضيها ، وأرسل جيشا باتجاه المشرق ، ولكن فقط ليمزق من قبل عدو حميه المميت - فريدريك

الثاني . وفي النهاية ، بعد رحيل الحملة الصليبية الخامسة استجمع جيشا يحظى بشيء من الاحترام وقاده عبر المانيا وهنغاريا ، ويلغاريا ليصل الى عاصمته في ١٢٤٠ ، وكان حكمه حكما باعنا على اليأس ، ووجد في البداية فترة راحة في التنافس بين فاتاس وميكائيل الثاني في أبيروس الذي أعاد توحيد الامارات ، ثم وجد مساعدة في تحالفه مع الكومان والأتراك الآخرين ، ولكنه أمضى معظم حكمه في فرنسا وإيطاليا يلتمس المال ليعيش فيه . وفي النهاية نزل الى حديد بيع الرصاص الذي يكسو سقوف قصوره ، وانتظرت القسطنطينية بكل بساطة حتى تمكن الاغريق من استعادتها في ١٢٦١ .

وكانت السنوات التي ميزت الانهيار الذي أصاب الامبراطورية اللاتينية هي سنوات أعظم الانجازات لامارة الموره ، ومن عاصمته في أندرا فيدا في إيليس القديمة حكم غوليوم الثاني أخوجيوفري ، والأمير من عام ١٢٤٦ الى ١٢٧٨ ، دولة ضمت كل وسط وجنوب اليونان ، وفي كل الوديان الجبلية وعند كل النقاط الاستراتيجية على طول الساحل وجه بعناية وصيانة القلاع القوية ، وكانت كل منها مركزا للحياة القانونية والدينية للمنطقة المحيطة بها ، وفي هذه الحصون طورت المورة حضارة اشتهرت في كل نيا القرن الثالث عشر ، وطار ذكرها الى القرن الرابع عشر أيضا ، وكان الأمير نمونجا للسيد الاقطاعي لكونه الأول ، ولكن الناس من عائلة فيلهاردين كانوا متميزين كأفراد حتى أن قواهم الفعلية ، وسلطاتهم كانت مطلقة تقريبا ، وكان غوليوم الثاني أبرز مثال لهؤلاء الأمراء ، ولكونه ولد في اليونان فقد حظي بأفضل تعليم أمكن للمورة تقديمه ، وتم تدريبه من قبل الخبراء على الأسلحة ، ومع ذلك كان أيضا مغنيا ضليعا وكاتبا للأغاني ، ولكونه كان يتقن اللغتين تماما فقد كان مطمئنا بين النبالة الفرنسية ومع الرعايا الاغريق . وكأمير أخيا كان تابعا للامبراطور اللاتيني ، ولكنه كان سيديا إقطاعيا أعلى للمورة ، وكانت سلطته مع ذلك بعيدة عن أن تكون مطلقة ، لأن أتباعه في المورة كانوا دائما يتطلبون من أميرهم عهدا

بالمحافظة على المزايا والأعراف في الامارة قبل أن يقسموا على الولاء له ، وحتى عندها كان مقيدا باستشارة باروناته ومن جانب آخر كانت له حقوق قطعية ومزايا ، مثل حق تحرير العبيد أو منح صكوك الاجازات للمدن .

وكان يساعد الأمير بعض الموظفين ، منهم الكافل والمشاور والحاجب والقباطنة وشحنة القلعة ، ولكن المورة كانت في المقام الأول بولة عسكرية ، وكان الأمير يعتمد في الأكثر على التبعية الاقطاعية للذين يمتلكون الاقطاعات التي يمنحها لهم ، وكان هناك نمطان من الاتباع ، أولئك المرتبطون بعهد الولاء ، وأولئك المبايعون البسطاء ، وكان كلاهما مدين بالتزام على كامل السنة في الحامية والميدان ويبقى مستنفرا في موطنه ، ولكن الأول منهما أعلى وله مزايا أكثر بما في ذلك أن يكون له بلاطه الخاص ، وكان الأخير يعتبر الأدنى ، ولم يكن يسمح له بحاشية خاصة ، وكان عليه أن يدفع ضرائب معينة ويلقى عادة مقاضاة مشتركة ، وكان نوو المكانة من الاغريق في الأراضي يقبلون في المراتب الاقطاعية كاتباع بسطاء ( مثلما كان السرجينية وقادة الفرسان ) وكان الاعضاء الرئيسون في الهرم الاكليروسي وكذلك فرسان الداوية والاسبطارية يمتلكون جميعا أراضي في الاماره توجب على هؤلاء فقط الخدمات الميدانية كما كانت مرتبة على كل الاقطاعات الاكليروسية . وكان هناك إضافة الى ذلك كثير من المدن التي شغلت دورا في حياة الامارة بتزويد الأمير بالمال والقوات في زمن الحرب ، ومن حين للأخر كان الممثلون يدعون للاجتماعات الهامة لمجلس الأمير الاستشاري ، وكانت الأرض في معظمها ريفا ، مع أنه كان يوجد بعض المدن وبعض الصناعات الخاصة ، كتربية بود الحرير مثلا . ومع ذلك فإن أغلب الناس كانوا يعملون في الأرض ، وكانوا إما فلاحين أحرارا يعيشون فرادى أو في جماعات ، وكانوا يمتلكون أرضهم صراحة ، أو عبيدا يقعون ضمن الأنماط المألوفة في القرى ، ولم يكن باستطاعتهم ترك المزرعة ، وكانت زوجاتهم



**إيطاطرة القسطنطينية، اللاتين**

- ١ — بيتر اصبح امبراطورا في ١٢١٦ ولكن وهو في طريقه نحو الشرق ليطلب ويحتمل ان يكون ذلك في ايروس ويقبل من السحن ويحتمل ان يكون ذلك في ١٢١٩ وفي هذه الاثناء حملت يولاند اللقب حتى وفاتها من ١٢١٩ وانتقل التاج الي ابنها روبرت الذي لم يصل على اى حال من فرنسا حتى عام ١٢٢١ .
- ٢ — روبرت الاول توفي في المنفى في ١٢٢٨ واعمل البارونات التاج لجن دي بريون الذي وصل ال القسطنطينية وتوج في ١٢٣١ .
- ٣ — كارولين تزوجت فيليب في ١٢١٣ واتخذ لقبها في ذلك الوقت . وعرف بالامبراطور حتى وفاته .

يصبحن عبدات للسيد الخ. وإجمالاً على أي حال تحسنت أحوالهم في ظل الفرنجة.

هكذا كانت في حينه الأرض التي حكمها / غوليوم / وفي سنواته الأولى شغل نفسه بالاستيلاء على الثغور الأمامية الأغرريقية على الساحل الجنوبي الشرقي وتهدئة القبائل السلافية في الداخل ، وكان ناجحاً واستخدم الكبح الحكيم في انتصاره . وذهب في حملة لويس التاسع الصليبية إلى دمياط في ١٢٥٠ ، وفي عودته إلى المورة قاتل في حرب مريرة مع الإيطاليين في يوبوا ، وبتحالفه مع ميكائيل الثاني في أبيروس كان قادراً على كسب هذا الصراع ووطد سلطانه على تلك الجزيرة ووسط اليونان أيضاً.

وفي هذه الأثناء كانت الدولتان الأغرقيتان تندفعان إلى شفا حرب جديدة ، وفي نيقية توفي إيوانس فيتاتيزس تاركاً عرشه لابنه تيودورس الثاني الاسكاريسي ، الذي توفي بعد ذلك بوقت قصير تاركاً ابناً في عمر ثمان سنوات تحت وصاية ميكائيل بالايولوجوس الذي سرعان ما اغتصب العرش لنفسه ، وكامبراطور ميكائيل الثامن أصبح بطلاً للثأر الأغرريقي واسترداد الأرض ، وإذا رأى ميكائيل الثاني هذه التطورات ، قوي موقفه بتزويج إحدى بناته هيلين إلى مانفرد صاحب صقلية ، والأخرى آن لفوليوم صاحب المورة . وهكذا جاءت أن الجميلة التي أخذت اسم أغذس عند زواجها إلى المورة وولدت في حينه ابنتين ايزابوا ومرغريت ، ثم اندلعت الحرب أخيراً وقاد غوليوم قواته نحو الشمال الذين أرسلهم الامبراطور ومانفرد ، وأجرى الجيش المزدوج عرضاً شجاعاً في شمال اليونان ، والتقى في النهاية بقوات نيقية في سهل بلاغونيا في أيلول ١٢٥٩ وكانت النتيجة أسر غوليوم وكثير من البارونات المورة ، وبعد ذلك بعامين في ٢٥ تموز ١٢٦١ أعيد احتلال مدينة القسطنطينية من قبل جيش إغرريقي ، وهرب بلديون وأتباعه مبحرين إلى اليونان ، وفيها أخذ الامبراطور المخلوع طريقه بكل دعة وأبهة إلى إيطاليا والمذفي وبقي غوليوم في سجن ميكائيل الثامن

حتى ١٢٦١ ووقع معاهدة مع امبراطور الاغريق سلام فيها للاغريق الحصن الرئيسي في كل من مونمفاسيا وميستر ، وماين ، وحالما حصل على حريته أقام حلفا جديدا مع البندقية والأمراء الايطاليين للجزر واستعد لتجديد الحرب. وأرسل ميكائيل جيشه الى اليونان ، ولكنه انسحب بعد هزيمتين شديتين وبعد أن أوقع أضرار شديدة في لاكونيا وأركاديا ، وفي هذا الوقت غلب على شؤون المورة جيشان الأحداث في إيطاليا ، ودعي شارل دي أنجو الى إيطاليا من قبل أوربان الرابع ليقود حملة صليبية ضد مانفرد حيث هزمه في المعركة في بيذفتو في ٢٦ شباط ١٢٦٦ ، حيث ماتت آمال مانفرد وألوه هوندشتافن في الميدان . وفي هذه الاثناء عانى ميكائيل الثامن من هزيمة بحرية قاسية ، وحتى حينه كان غوليوم ما يزال في حاجة لحلف قوي في الغرب.

وكان شارل دي أنجو قد بدأ يلقي بنظرات جاثمة نحو الشرق ، وبأمل من البابا كليمنت الرابع في السيطرة على كل هذه التيارات ، دعا سائر الأمراء الى مجلس شورى في فيتربرو وتم الاجتماع في شباط ١٢٦٧ واستمر خمسة أو ستة أشهر . وكانت الموضوعات الأكثر الحاحا هي توحيد الكنيستين وعقد حلف بين غوليوم وشارل ، ولم تصل مناقشة الموضوع الأول الى حل دائم مع أن المفاوضات أعطت ميكائيل الثامن فترة راحة قيمة ، بيد أن معاهدة فيتربرو الهامة ٢٤ أيار أبرمت بين شارل وغوليوم ووفقا لها كان لابن شارل أن يتزوج ايزابو دي فيلهاردين ، ومع أن غوليوم سيحكم طيلة حياته فإنه عند وفاته سينتقل التاج الى الانجيفينيين لأنه إذا لم ينجب الزوجان ابنا ، فإن شارل نفسه كان له أن يرث التاج ، وبقي أمير المورة في إيطاليا ليساعد شارل على مواجهة هجوم كونراين آخر سلالة هوندشتافن ، الذي كان يغزو إيطاليا طلبا لأراضيه ، وتمت مواجهته في تغليا كوزو وكسب شارل ، بعدما تلقى معونة غير قليلة من بارونات المورة ، كسب نصرا تاما ونهايا .

وبعونه إلى المورة استعد الأمير لتنفيذ شروط المعاهدة . وفي أيار ١٢٧١ أبحرت ايزابو إلى ايطاليا ، وتزوجت من فيليب الشاب في ٢٨ أيار ١٢٧١ . وفي هذا الوقت بدأت خطط شارل تتكشف ، وأرسل قواته إلى ألبانيا لتعمل للسيطرة على اليونان كخطوة لازمة نحو السيطرة على كامل البحر المتوسط ، وكانت المورة قطعة صغيرة فقط في مشروعه الكبير ، واندلعت حرب مريرة كانت بالقوة نفسها في المناورات الدبلوماسية كما في التكتيكات البحرية والبرية عبر كل اليونان .

وكانت النتائج حاسمة ولكن اليونان الفرنجية اهتزت بشدة ، وواحدة فواحدة بدأت المقاطعات الخارجية تتفتت وتنفصل ، وأدى الفرار والخيانة والهزائم إلى انهيار معنويات الفرنجة والابيروس على السواء لوقوعهم وسط حرب بين عمالقة . ولو أن ( غوليوم ) رأى في السنوات الأخيرة من حكمه المورة تنجو من رعب الفزو الكامل فقد رأى أفضل اليواصل من المدافعين عنها يموتون واحدا تلو الآخر . وقد أمكنه من قبل أن يتنبأ بالمصير غير السعيد لأرضه ، وتحت ضغط من شارل ، بدأ يعد البلاد لارتقاء فيليب الأنجفيني ، ولكن في شباط ١٢٧٧ توفي هذا الأمير الشاب بصورة غير متوقعة بالمرّة ، وكان في الحادية والعشرين من عمره ، ولا بد أن هذه الضربة قد أضعفت ( غوليوم ) لدرجة مميتة ، حيث بعد عام في أول أيار ١٢٧٨ توفي أشهر أمير في تاريخ المورة بعد حكم دام اثنتان وثلاثون سنة .

وفقدت المورة الآن تقريبا هويتها كإمارة مستقلة وأصبحت ملحقة بمملكة صقلية ، وبقيت ايزابو مع الأسرة الملكية الأنجفينية في ايطاليا ، وهناك جمع شارل البارونات الرئيسيين للمورة والامبراطورية اللاتينية ، وقد خدمه هؤلاء البارونات جيدا ، ولكن ليس دائما في شؤون أراضيهم ، فلادارة المورة على سبيل المثال ، أرسل شارل كنائب نائب إمارة صقلية غاليران دي ايفري الذي لم يكن موريا ، وأمر كل اقطاعي اليونان الأوربية والجزر ، الذين

تناقصوا الآن بدرجة كبيرة في العدد بأداء قسم الولاء لذلك الرجل ولكن من المهم ملاحظة بأنهم رفضوا تأدية قسم الولاء للملك ، لأن هذا يتم فقط حضوريا ، ووافقوا على أن يقسموا فقط بالبيعة ببساطة لمثليه .

وحولت الحرب مع الاغريق بالتدريج الكثير من المورة الى ارض موبوءة لاصحاب لها . وكانت الجيوش الانجيفينية تتألف من تشكيله ممزقة من المرتزقة من الصقليين غير المقيدين وقطاع الطرق ، الذين كانوا اكثر اهتماما بالسلب والنهب منهم بسلامة المملكة ، وقد احدثوا من الاضرار بالبلاد اكثر مما فعل العدو ، وحل شارل محل دي ايفري في اب ١٢٨٠ وكان فيليب دولا غونيس مارشالا لصقلية وتحسنت الظروف ولكن المصالح المورية كان يضحى بها دائما للمشاريع الضخمة للملك في صراعه مع ميكانيل بالا بولوغوس .

وبدأت القوات الانجيفينية والامدادات والاموال تنصب في ابيروس وبعد مفاوضات دقيقة مع القوى في الشمال ، شن هجوم على بيرات كمقدمة لتقدم نحو الشرق الى سالونيك ، وتحول الهجوم الى اخفاق مأساوي لشارل الذي سحب قواته ليركزها في اخنات الثورة التي بدأت مع منبهة العشاء الصقلية في نهاية اذار ١٢٨٢ ، وتركت المورة كثيرا لمواردها . وتزوجت اغنس ارملة الامير غوليوم الثاني نيكولاس الثاني دي سانت اومر من بوقية اثينا ، واصبح الآن نائبا على المورة ، واحتفظت النبالة المورية بافضل ما استطاعت بتقالييد ارضها ، وكانت ماتزال معروفة في اوربا ببسالتها .

ومن حين لآخر كان شارل يحول اهتمامه الى المورة ليمكن من تملكه لها ، او لمكافحة تابع مخلص ، ولكن على وجه الاجمال كان للانجيفيين مشكلات اكثر ضغطا في غرب البحر المتوسط ، وتوفي شارل في ١٢٨٥ وكان رجلا منهكا خائب الامال بمرارة ، وخلفه ابنه الذي كان غير كفء في الواقع وهو شارل الثاني ، الذي قوبل

بمعارضة مدبرة من قوى اخرى في حوض البحر المتوسط خاصة أراغون، ومع افتقاره الى المقدرة السياسية ، كان رجلا رقيق المشاعر وقد أشفق على إيزابو المترملة ، التي كانت في البلاط الصقلي لمدة اثني عشر عاما وأهداها إقطاعات مورية واسعة من مقاطعاته الخاصة . وفيما بعد وفي مناسبة زواجها من فلورنت دي هينوت حول إمارة المورة إليها ولسلالتها من بعدها ، وعكست عودة الامارة الى وريثه فيلهاردين طموحات بيت هينوت أفندس ، بل وماهو أكثر توقق البارونات الى حكومة مستقرة خاصة بهم تنهي شرور الوصاية على العرش .

وماأن نصب فلورنت أميرا على المورة وتلقى يمين الولاء والبيعة من أتباعه ، مع أن الذين من بوقية أثينا ووسط اليونان رفضوا قبوله ، حتى شرع في العمل ، ولم يكن محاربا في المقام الأول ، ولكنه كان رجل دولة ، وكان يأمل في إعادة المورة الى حالة الرخاء بالتفاهم مع أعدائه . وقام بإجراء تمهيد للامبراطور البيزنطي اندرونيكوس الثاني الذي خلف الان والده على العرش لتسوية الحرب المزعجة باستمرار مع الامبراطورية والتي جلبت الخراب الكثير جدا لجنوب اليونان ، وكانت بيزنطة تحت ضغط عظيم من الأتراك والبلغار واليونانيين في أسقفية أبيروس في ذلك الوقت ، لهذا لم يكن من الصعب ترتيب سلم جديد ، وبدأ الاغريق والفرنجة بالامتزاج بحرية وكل منهم يتبع شؤونه ، وازدهرت المورة وقامت صعوبات مع ذلك ، فمن اتصالات الأمير مع اسقف أبيروس نيكفوروس الذي كان عم إيزابو وباستغلال السلام في الجنوب غزا أندرونيكوس الأسقفية بجيش كبير بدأ نهبا منظما لكل المنطقة ، وناشد نيكفوروس ابن أخيه الفون وانضم اليه فلورنت بقوة ملموسة ، وهزمت القوات البيزنطية وأجبرت على التراجع نحو الشرق ولكن الأرض تعرضت لمزيد من الخراب والنهب وضعفت بذلك كل اليونان .

ووقعت حادثتان في هذا الوقت مندرتان بالسوء لمستقبل

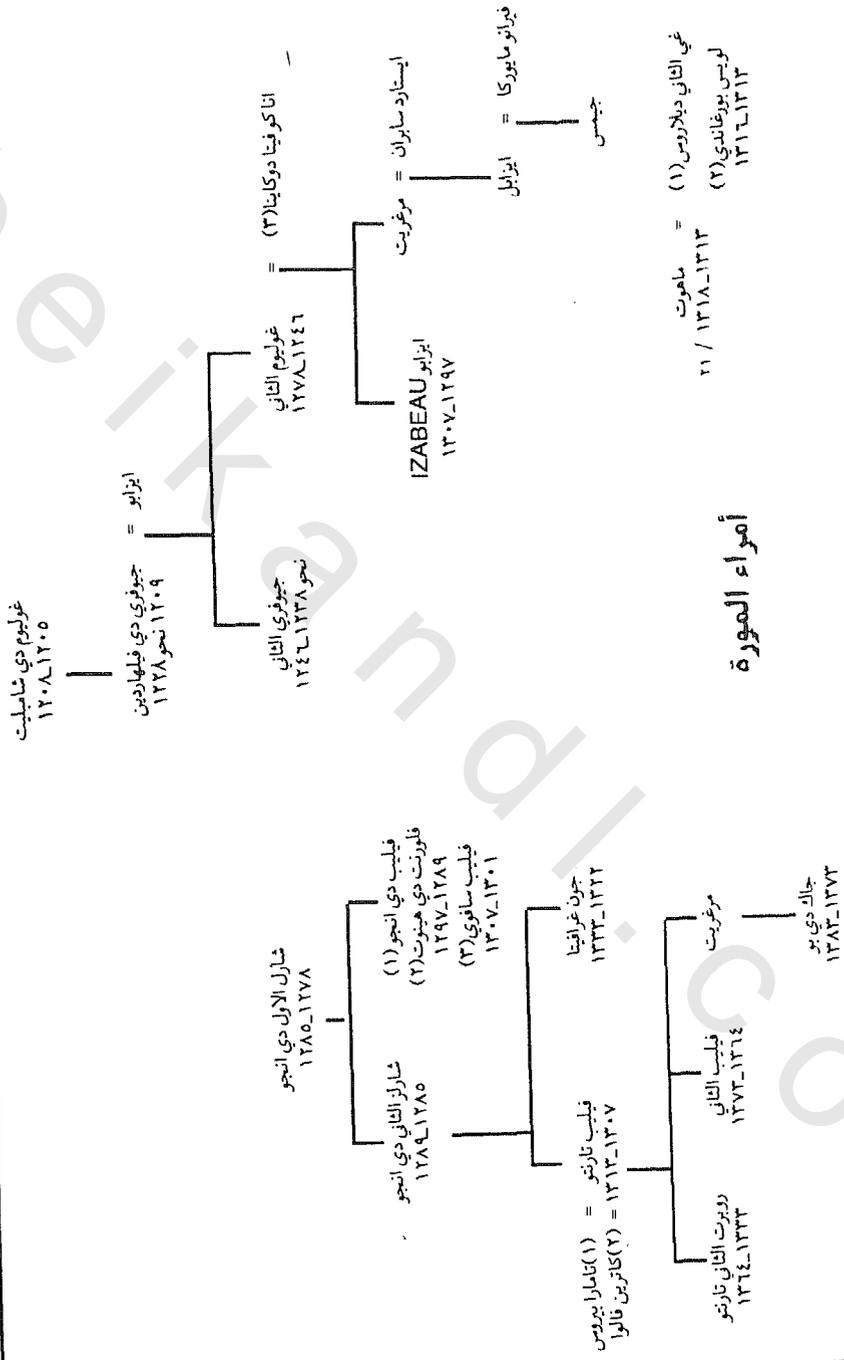
اليونان . فقد ظهر أسطول أراغوني في المياه اليونانية ، وهاجم موانئ وجزرا معينة ، وبعد القيام بزيارة ودية لايزابو وبلاطها أبحر عائدا الى الغرب ، وثار أيضا السلاف في أواسط البيلبونيز واستولوا على بعض قلاع الفرنجة ، ولكنهم أكرهوا على اعادتها بأمر من الحكومة البيزنطية ، ولكن طغى على هذه الأمور المشؤومة في ذلك الوقت حلف كان لا بد أن يؤثر على كل دول اليونان الحرة ، فقد رتب شارل الثاني زواجا بين ابنه فيليب أمير ترانتو وتاماز ابنة ووريثة أسقف أبيروس .

وأخذت مهرا لها الاماكن الرئيسية في أكارنانيا ، في حين نجد أن شارل منح ابنه كل حقوقه في الشرق ، وهكذا أصبحت كل اليونان الفرنجية تحت سلطة فيليب ، مع أن شارل الثاني بقي سيده الأعلى خلال فترة حياته . ومن الواضح أن شارل قصد تبسيط وزيادة كفاءة الهرم الاداري في اليونان ، ولكن في الواقع جعله كل الدول الفرنجية تحت رئاسة واحدة جعل الأمور أكثر صعوبة ، لأن خصاما مريرا قد تفجر حول العلاقات الاقطاعية بين مختلف الأمراء والدوقات ، وكان على شارل مرارا أن يحكم في تلك النزاعات ، ومع أنه في النهاية اسس الهرم الاقطاعي كما كان يريد ، مع ذلك بقيت هناك المرارة والمشاعر الجريحة .

وكان هذا أكثر خطورة حيث أن عددا متزايدا من الحوادث كان يؤدي نحو استئناف الحرب مع بيزنطة ، وقبل ان يحدث هذا توفي فلورنت ، وكان الحزن عليه حقيقيا من قبل شعبه ، في كانون الثاني ١٢٩٧ ، وكان وريثه الوحيد ابنته ماهوت وكان عمرها ثلاث سنوات وحكمت ايزابو وحدها للسنوات الثلاثة التالية ، يساعدها مجلس من البارونات القيايين في المملكة .

وكانت مشغولة خلال هذا الوقت بترتيب زيجات لابنتها ولأختها مرغريت ، والأهم لنفسها ، وأعطيت ماهوت الشابة بعد نقاش مطول ، للوريث الشاب لدوقية أثينا واسمه غي أوغويوت كما كانت

تشيع تسميته في الدوريات . وترملت مرغريت في ١٢٩٧ مع ابنة عمرها ثلاث سنوات واسمها ايزابيل ، وبعد سنتين رتب لزوجها من ريتشارد سيفالوينا النائب المسن في المورة ، وذهبت ازابو نفسها الى روما للاحتفال باليوبيل بدعوة من بونيفيس الثامن في ١٣٠٠ وهناك لم تحز فقط على الكثير من البركات والمغفرة بنتيجة الحج ، بل على زوج جديد ايضا هو فيليب كونت بيدمونت وابن أخ كونت سافوي ، وكانت فوق الأربعين في ذلك الوقت وكان هو في الثامنة والعشرين ، وحدث الزواج في ١٢ شباط ١٣٠١ ، وفي الثالث والعشرين منح امارة المورة أو أخيا كما كان يفضل ان يسميها، وخرج الى ارضه الجديدة بحاشية من السافويين والبييمونيين من البارونات الجدد المتلفين للبحث عن حظهم من المشرق الذي كان سهلا في الواقع ، لكن فقط على حساب الاقطاعيين الاقدم ، وكان الامير نفسه قد أنفق مبالغ كبيرة في خطب ود وكسب يد ايزابو وانقض على المورة بجشع قائد مرتزقة ايطالي ، وثار البارونات في احتجاج ، كما فعل الاتباع من الاغريق ، ووجدت المورة الآن أنها يمكن أن تجر الى حرب من قبل اقطاعيها لأن بوقية أثينا عند هذه النقطة مضت الى الحرب مع الاسقفية ، وكان على النبلاء الموريين أن يذهبوا اليها ، ودخل شارل الثاني الحرب ضد ابيروس لصالح ابنه فيليب صاحب تارنتو ، وقبل امير أخيا الذي كان مايزال جائعا للأموال رشوة من امارة ابيروس كي لا يقاتل ، وكانت حصيلة هذه النزاعات الصغيرة شاملة سوى ، بقدر ما صورت أكثر ، ان شؤون الاغريق كانت الآن هامشية بالنسبة للسياسة الايطالية ، وتصادم الانجيفيين وأمير سافوي حول أراضيهم في شمال ايطاليا ، وحدث هناك أن خسر الامير أمام شارل الثاني وكان عليه أن يتخلى عن القابله في اليونان ، ورفضت ايزابو أن تقبل خسارة المورة برباطة الجأش نفسها التي تصرف بها زوجها ، والتمست الانصاف في الدوائر الفرنسية في كل سنواتها المتبقية ، ولكن حياتها الساحرة انتهت بعد ١٣١١ في نقص وخيبة أمل مـ رير بيد أنها بقيت حية من خلال ابنتها ماهوت دي هينولت ، والتي



أمراء المورة

تزوجت غي الثاني لوق اثينا ، كذلك ابنة أخرى ولدتها لفيليب في  
١٣.٣

وبدأت الآن المرحلة النهائية في تاريخ المورة ، قصة حزينة  
لمطالبين متنافسين حول الاقطاعات المختلفة ، ضحوا بما بقي من  
القوة الفرنكو - اغريقية في اليونان لأجل طموحاتهم ، وسمي غي  
الثاني نائب أمير للمورة من قبل فيليب تارنتو في ١٣.٧ ولكنه توفي  
في ١٣.٨ ، ومع ماتت سلالة دي لاروش نفسها .

ومن الآن وما بعد أرسل الأنجيفينيون رجالا فرنسيين أو ايطاليين  
كحكام ، رجالا كانوا غير قادرين على وقف أعمال الاسترداد  
التدريجي الذي تولته القوات الاغريقية لكامل شبه الجزيرة  
اليونانية ، وكان في هذا الوقت قد قرر شارل دي فالوا اخو فيليب  
الرابع ملك فرنسا دعم ادعاءات زوجته كاترين دي كورتناي  
الامبراطورة الرسمية للقسطنطينية .

وفكر في ان يدخل في خدمته المجموعة الكاتالانية الكبيرة ، وهذه  
كانت مجموعة من المفارمين ممن حاربوا في الحروب  
الأراغونية - الأنجيفينية في صقلية ، بالقتال في خدمة أندرونيكوس  
الثاني ضد الأتراك في آسيا الصغرى ، وبعد الانفصال عن  
البلايولوجويين تحصنوا في غاليبولي ، حيث شكلوا تهديدا خطيرا  
لبيزنطة ، واسميا كانت الجماعة تدين بالولاء لفريديريك الثاني ملك  
صقلية ، ولكنه كان قد أرسل ابن عمه فراند ابن ملك مايوركا  
لقيادتهم ، ومن أجل مصالح أراغونية أخرى في الشرق ، ولكونهم  
غير منظمين ، وشموسين فقد رفضوه واختاروا قائدا لهم ، وفي  
النهاية اسر فراند من قبل ثيبوت دي شيبوا وهو ضابط فرنسي كان  
في خدمة شارل دي فالوا ، وأمضى سنة في سجن انجفيني وكان  
شارل قد أرسل ثيبوت لاستتجار الجماعة ، ولكن هذا الرجل  
التعس وجد نفسه محاطا بعصابة من قطعة الرقباب قبلوا  
نقوده ، ومع ذلك كانوا أكثر شرها في سلب ونهب اليونان منهم في

القتال من أجل الفرنسيين ، وكانوا قد خربوا مقدونيا وتساليا لشهور عدة . وإن لم يكن أمامهم في حينه مكان آخر يذهبون إليه تحولوا نحو الجنوب وبدأوا يتحركون نحو وسط اليونان ، ونقض ثيوت خلال ذلك يديه منهم وتسلل مبتعدا عنهم وعاد الى الغرب ، واستؤجرت الجماعة بعد ذلك من قبل غوتيير دي بريين دوق أثينا ، الذي كان يأمل في توسيع سلطانه بين الامارات المختلفة في اليونان ، ورغم أن الكتاليين أثبتوا مرة أخرى جدارتهم كقوة محاربة فإن غوتيير سرعان ما أراد أن ينتهي منهم ، وعندما تأخر عن الدفع لهم مدة أربعة أشهر تخلوا عن ولائهم له وقرروا أن يوطنوا أنفسهم في اليونان ، وتوحد الفرنجة لطردهم للخلاء ووقعت المعركة المصيرية في ١٥ آذار ١٣١١ على غير بعيد من مدينة كيرونيا القديمة ، حيث تقرر مرة من قبل مصير اليونان في المعركة ، وكان اليوم كارثة تستعصي على الاصلاح لليونان الفرنجية ، فقد قتل دوق أثينا ودمرت معظم قوى الفروسية الفرنجية ، وفقد وسط اليونان إذ تحرك الكتاليون نحو داخل أثينا وطبيبة ، وأصبحوا سادة كل الأرض ، وطلبوا من ملك صقلية أن يصبح سيدهم فقبل مسرورا وأرسل بيرنغر استانيول ليكون نائبا له .

لقد غير توطن الكاتلان في دوقية أثينا بعمق توازن القوى في اليونان ، وابتهج الأغرقيق الذين ملكوا سالونيك وأبيروس ، لرؤية منافسيهم الفرنجة الأقوياء يبعدون ، وعلاوة على ذلك نجد أن إمارة المورة التي اختزلت إلى نحو ثلثي البليونيز قد تضررت من هذه القوة الجديدة ، وكانت البندقية والأنجيفيين أيضا متخوفين حول مصير ممتلكاتهم اليونانية ، وبدت التطورات للبأبأ والأنصار الغربيين للحملة الصليبية نكسة لآمالهم في تأسيس إمبراطورية لاتينية في القسطنطينية ، ومن الواضح أنه كانت هناك حاجة لرجل قوي لتنظيم دفاع الفرنجة ودفع المصالح الغربية في اليونان ، وكان فيليب تارنتو قد طلق زوجته الزانية تاهار وألقى بها في السجن حيث ماتت . ثم رتب شارل دي فالوا بعد ذلك زواجا بين ابنته كاترين دي فالوا التي ورثت المطالبة بالامبراطورية عن أمها كاترين دي

كورتناي ، وفيليب ، والتي كانت ممثلة في الوحدة بين كل الدعاوى الفرنجية والألقاب في اليونان ، وتدعمها القوى البابوية والفرنسية ، وفي الوقت نفسه أصبحت المورة في يد ماهوت هينولت وزوجها الثاني لويس برغاندي وهو استرداد عملت في سبيله أم ماهوت ايزابو خلال جميع سنوات نفيها ، وعادت المورة إلى بيت فيلهاردين ، رغم أن الأمير الجديد قد استولى عليها من فيليب ، الذي أصبح الآن امبراطورا لاتينيا اسميا مع أخيه الملك روبرت ملك نابولي كسيد أعلى . وانطلقت ماهوت على الفور إلى المورة ولكن لويس تأخر لبعض الوقت في بورغاندي ووصل وهو في طريقه إلى اليونان إلى البندقية في تشرين الثاني ١٣١٥ .

وأوجدت إعادة الترتيب هذه الحاجة إلى قدر عظيم من خلط الألقاب والممتلكات البورغاندية والفرنسية . وبشكل عام تنازل الأمراء الذين اتجهوا شرقا عن مطالبهم في الغرب لأعضاء آخرين من عائلاتهم وعوضو بممتلكات أقوى في اليونان الفرنجي . وبدا أن كل شيء قد نفذ جيدا عندما تفجر فجأة أعنف صراع في تاريخ المورة المضطرب ، وذلك عندما توفيت إيزابودي فيلهاردين في ١٣١١ ، حيث قامت أختها مرغريت بالمطالبة بجزء من المورة ، ولم يعترف شارل الثاني بهذا الادعاء وكذلك خليفته روبرت ، وعليه التمسست مرغريت المساعدة من فيراند صاحب مايوركا ، الذي كانت له بعض الصلات مع الشرق عن طريق الفرقة الكبيرة ، وقد تزوج ابنة مرغريت ايزابيل في شباط ١٣١٤ ، وأعطت مرغريت الزوجين مهرا / بوطه / للعروس حقوقها في المورة ، وعادت هي نفسها إلى المورة حيث اعتقلها نائب ماهوت . وألقى بها في السجن ، وصادر أراضيها ، وماتت السيدة التعيسة بعد ذلك بوقت قصير ، وبدأ فيراند على الفور استعداداته لغزو المورة ، وولدت إيزابيل ابنا ، هو جيمس في ٥ نيسان ١٣١٥ ، وتوفيت بعد ذلك ببضع أسابيع ، وتركت لابنها الطفل كل ماكانت تدعي ملكيته في الامارة ، وكان فيراند مؤيدا من قبل فريديريك ملك صقلية ، والكاتالانيين في أثينا ، ونزل في اليونان في حزيران مع قوة كبيرة ، واستولى بسرعة على

ميناء كلارنيتسا وقلعة بوفوار ( بونديكوس ) وبسرعة أصبحت كل إيليس في يديه ، وبدأ يتحرك نحو الجنوب ، ووصلت ماهوت وقواتها البورغاندية ، واندلعت حرب دموية قتل فيها مئات الفرسان وانتهت الحرب ، لكن مالبت لويس نفسه أن توفي بصورة غامضة نوعا ما بعد ذلك بوقت قصير ، وتركت ماهوت لتحكم المورة وهي حتى أضعف مما كانت .

وسعت كل الدول المحيطة الآن إلى استغلال ضعف المورة لتوسيع ممتلكاتها وبدأ الكاتالانيون بغزو يوبوا التي كانت تحت سلطان ماهوت ، ثم حاول روبرت نابولي أن يرتب زواجا بين ماهوت وأخيه جون صاحب غرافينا ليتأكد من أن المورة ستصبح في أيدي أسرته ، ورفضت ماهوت واحتجت لدى البابا يوحنا الثاني والعشرين وطلبت المساعدة من البندقية ، ولكن روبرت أقام جون غرافينا في المورة واعترف بالأخ الثالث فيليب كأمبراطور لاتيني اسمي ، وألقيت ماهوت في السجن وأمضت بقية أيامها هناك ، ولكن الأسد كان قد تفجر فبدأ الكاتالانيون في عبور إيزموس ، واستولى إغريق ميستوا على قلعة بعد الأخرى في الجنوب ، موقعين أضرارا وهزائم بالمدافعين الأنجيفيين والموريين ، وكان السبب الوحيد في أن المورة مازالت باقية هو أن النهايين بدأوا يتقاتلون فيما بينهم .

وكافحت الامارة قرنا آخر ، ولكن مورة فيلها ردين القديمة اختفت ، ومن البارونيات الاثنتي عشرة الأصلية بقيت أصغرهما فقط ، وذهبت أغلب الأسر الفرنجية الغازية ، وأصبحت دفاعات البلاد مثلما كانت بقدر كبير في أيدي المرتزقة ، واستوطنت أسر جديدة إيطالية في معظمها في الأرض ، لاكأرستقراطية إقطاعية مقاتلة بل كطبقة سياسية مالكة للأراضي تدفع الضرائب للأمير عن إقطاعها الواسعة ، ثم تحولت عن الأمير إلى قادة يمكنهم حمايتهم ومصالحهم بصورة أفضل عند الضرورة وحتى لو كانوا من البيزنطيين ، وسكنت العداوات اللاتينية الاغريقية التي كانت في

الازمنة السالفة . وتعلم الفرنجة والأغريق أن يعيشوا معا ، وبدأت تظهر ثقافة مشتركة .

واستدان جون صاحب غرافينا بكثرة من أصحاب البنوك الايطاليين ولاسيما من اكسيا اولي ، وتولى بعض المشاريع ضد الأغريق ، ولكنه لم يحصل منها على شيء هام ، وغزا غوتبير الثاني دي بريين ، الذي كان قد تزوج بياتريس ، وهي من بنات فيليب تارانتو وتامار ، اليونان لمطالبة الكاتالانيين بأثينا نوقية أبيه ودمرت الآن القلعة الشهيرة / السانت أومر / في طيبة ، وكانت حملة غوتبير مخففة ، وعاد إلى إيطاليا في أواخر صيف ١٣٣٢ .

وتوفي فيليب صاحب تارنتو في كانون أول ١٣٣١ وترك القبايه لابنه روبرت وأجبرت أرملته كاترين دي فالوا ، جون غرافينا أن يحيل المورة إليها كوصية على ابنها في مقابل أموال وأراض في إيطاليا ، وربطت نفسها بنيكولو اكسيا اولي وكان أصغر منها بتسع سنوات ، وهو عضو جميل الطلعة ومثقف في البيت المصري ، وأحالت إليه أمور عائلتها في اليونان ، وفي ١٣٣٨ قام نيكولو وكاترين برحلة إلى المورة ، ومكثا هناك أكثر من سنتين ، وحاولت أن تكيف نفسها مع الظروف هناك في المقام الأول وأن توقف التدهور الثابت للإمارة ، ولكن عبثا ، وعندما عادت كاترين إلى نابولي شعر بارونات المورة حتى أكثر بعدم موافقة الحكم الأنجيفيني وعرضوا الإمارة على جيمس الثاني لمايوركا ابن فيراند وإيزابيل ، وقبل اللقب ولكنه توفي قبل أن يتمكن من زيارة المورة .

وتمسك روبرت صاحب تارنتو بكل الألقاب والأراضي التي ورثها ، ولكن الحروب في فرنسا وإيطاليا منعتة من أن يذهب يشخصه إلى الشرق وتركت المورة لوسائلها الخاصة ، ومن حين لآخر كان يأتي حاكم من الغرب ولكن الأكثر أن البارونات كانوا ينتخبون واحدا منهم ، وكان الأتراك ينهبون سواحل البلاد ، ولم يبد أن هناك إمكانية للدفاع ، وكان أقوى رجل في اليونان الآن

نيكولو اكسيا أولي ، الذي منحه روبرت في ١٣٥٨ إمارة قلعة كورنث الغنية وتوابعها ، وتوفي روبرت في ١٣٦٤ وطالب أخوه فيليب بالامارة ، وبدأ حربا غير مجدية مع خصوم منافسين امتدت حتى قبل وفاته بوقت قصير في ١٣٧٣ . وخلفه ابن أخ له هو جاك دي بو .

وتفجرت حرب مروعة أخرى . وفي ١٣٧٦ أجرت جوانا إمارة المورة لمدة خمس سنوات للاستتارية ، الذين يبدو أنهم احتفظوا بها مدة العقد .

وحدث تطور أهم عندما تدخلت الجماعة النافارية في شؤون اليونان ، وكانت لأحد قادتهم ، وكان في الظاهر في خدمة جاك دي بو (توفي في ١٣٨٣ ) الذي سيطر على الامارة ، كما واستولى اخر ، يحتمل أنه كان في خدمة نيريو اكسيا أولي ، وكان ابناً بالتبني لنيكولو الكبير ، على طيبة في ربيع ١٣٧٩ ، وبعد عقد من الزمان في ١٣٨٨ استولى نيريو على اكروبول أثينا بعد حصار طويل ، وبذلك وصل تاريخ الدوقية الكاتالانية إلى نهايته .

واستمرت الامارة اللاتينية في تاريخها الضعيف جيلين آخرين حتى ١٤٣٠ ولكن معظم المورة كانت قد أصبحت تحت حكم الأساقفة الباليو جوا ، أساقفة ميسترا ، الذين قامت في أيامهم نهضة يونانية تقريبية ، ولكن مرور كل عقد كان يزيد من قوة الأتراك العثمانيين الذين استولوا على القسطنطينية في ١٤٥٣ وفي ١٤٦٠ وضعوا نهاية لأسقفية ميسترا .

وعليه هكذا كان تاريخ الامبراطورية اللاتينية للقسطنطينية وإمارة المورة بخطوطه العامة ، وقد رويت القصة في القرن الرابع عشر من قبل مؤرخين للمورة ، ومن ثم غدت موضوع الفضول والتأمل لعدة سنوات .